الاستشراق ماله وما عليه

أ.د: عفاف بنت حسن بن محمد مختار الهاشمي

أستاذ العقيدة والمذاهب المعاصرة

١٤٤٢هـ – ٢٠٢٠م

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله ﷺ أما بعد

فإن الاستشراق قد لعب دوراً خطيراً في الثقافة الإسلامية، حيث شارك في توجيه الأفكار والمعتقدات والتصورات والمفاهيم والأسس المتعددة، مما كان له أكبر الأثر في إفساد المجتمع الإسلامي، بسبب ما ينشره من كتب وأخبار ومعلومات وندوات ومناظرات بحجة نشر الفكر والرأي المستنير، فاتسع تأثيره ليصل لجمهور القراء الذين يمثلون قادة المجتمع والنخبة المهمة فيه، وقد حاول المستشرقون أن يتوجهوا إلى جميع طوائف المجتمع والنخب المتنوعة عن طريق المحافل العلمية والنوادي الثقافية، فاستطاعوا استقطاب نوعيات مميزة ومن ثم إدارتهم وتوجيههم لخدمة أغراضهم وأهدافهم، وكان لتطور الطباعة والصحافة ووسائل الاتصالات العلمية أثر كبير لنشر الآراء والأفكار والمعتقدات التي ينادي بها المستشرقون، وقد طرأ تطور في العقود الأخيرة عند المستشرقين فتحول الاستشراق إلى عمل سياسي واجتماعي واقتصادي وثقافي وعلمي لإعداد جيل لا دين له ولا هوية ولا عقيدة، ومن ثم يُقضى على الدين الإسلامي ومبادئه، فتنتشر الأمية الدينية حتى ينفرط العقد وتتمزق الأمة الإسلامية، ويسقط المسلم بلا ثمن في أيدي المستشرقين وأهدافهم، ومن هنا جاءت أهمية هذا الموضوع (الدراسات الاستشراقية والإسلام عداء أم حوار) لبيان الأهداف الأساسية للاستشراق التي من أهمها القضاء على الإسلام والمسلمين.

أسباب اختيار الموضوع

١. بيان أن الأمة الإسلامية تمر الآن بأحرج الأوقات في تاريخها الطويل حيث يُراد منها نسيان الموروث في ظل ما يسمى بعملية السلام والتوافق، مما يسهل عملية سلخ الأمة الإسلامية من عقيدتها وهويتها.
٢. إن التصدي لأعداء الإسلام من سنن الهدى.
٣. توضيح أهمية المحافظة على الأصول الإسلامية.
٤. اختلاط المعايير عند بعض المسلمين عن الاستشراق والمستشرقين.

أهداف البحث:

١. التعرف على الاستشراق والمستشرقين.
٢. تسليط الضوء على أهداف الاستشراق.
٣. توضيح الأضرار الأساسية من حركة الاستشراق.

منهج البحث:

اتبعت في إعداد هذا البحث الآتي :

١. نقل الأقوال من مصادرها، فقول أهل السنة والجماعة، أنقله من كتبهم، وقول أهل الأهواء والبدع من كتبهم، إلا إذا تعذر الأمر علي .

٢. الاعتماد على أقوال شيخ الإسلام ابن تيمية – يرحمه الله– في كثير من النقول لكونه في (نظري) أبرز عالم سُني شرح المسائل العقدية.

٣. توضيح عقيدة أهل السنة والجماعة حتى يظهر نقاؤها .

٤. مناقشة الأقوال إذا احتاج الأمر إلى ذلك.

٥. ذكر شيئاً من كلام أهل البدع للاستشهاد به، ولا يدل ذلك على موافقتهم ، ولكن الحق يُقبل من كل من تكلم به.

٦. إذا كان الحديث في الصحيحين اكتفيت بتخريجه منهما، إذ المقصود معرفة صحته، أما إذا كان في غيرهما فقد أذكر أكثر من مصدر، على حسب الاستطاعة.

٧. عزو الآيات القرآنية إلى مواضعها.

٨. عزو الحديث يكون بالكتاب والباب والجزء والصفحة، أو رقم الحديث على حسب المصدر المنقول منه .

٩. شرح ما دعت الحاجة إلى شرحه من الألفاظ الغريبة .

١٠. في حالة تغيير المصدر أو المرجع المعتمد أشير إلى ذلك في الحاشية.

١١. تذييل البحث بفهرس لتيسير الرجوع إليه .

محتويات البحث:

يحتوي البحث على مقدمة وأسباب اختياره وأهدافه ومنهجه وتمهيد ومبحث واحد.

التمهيد ويتضمن تعريف الاستشراق – بداية الاستشراق – أهم شخصيات الاستشراق.

المبحث الأول: الأهداف الرئيسية للاستشراق والمستشرقين وفيه ثمانية مطالب:

المطلب الأول: التشكيك في صحة القرآن الكريم.

المطلب الثاني: الطعن في رسالة النبي ﷺ.

المطلب الثالث: زعمهم استمداد الفقه الإسلامي من الرومان.

المطلب الرابع: النيل من اللغة العربية.

المطلب الخامس: افترائهم بإرجاع الإسلام لمصادر يهودية ونصرانية.

المطلب السادس: تشويه الدين الإسلامي.

المطلب السابع: تنصير المسلمين.

المطلب الثامن: إضعاف الأخوة الإسلامية.

الخاتمة وفيها أهم النتائج والتوصيات ومن ثم الفهارس.

التمهيد ويتضمن تعريف الاستشراق – بداية الاستشراق – أهم شخصيات الاستشراق:

أولاً: تعريف الاستشراق في اللغة والاصطلاح:

تعريف الاستشراق في اللغة: مأخوذ من كلمة شرق، وفي لسان العرب: شرق وشرقت الشمس شروقاً وشرقاً أي: طلعت، واسم الموضع: المشرق، وقد جاء في بعض المصادر اللغوية الحديثة: استشرق: أي طلب الشرق أو طلب علوم الشرق ولغاتهم، ويُقال لمن يُعنى بذلك من علماء الإفرنجة[(١)].

وتأتي الكلمة في اللغات الغربية بالدلالة ذاتها إذ في اللاتينية تعني كلمة (Orient) أي: يتعلم أو يبحث عن شيء ما، وبالفرنسية تعني (Orienter) أي: وجَّه أو هدى، أو أرشد، وبالإنجليزية (Orientation و Orientate) يعني توجيه الحواس نحو اتجاه أو علاقة ما في مجال الأخلاق أو الاجتماع أو الفكر، أو الأدب نحو اهتمامات شخصية في المجال الفكري أو الروحي، ومن ذلك أن السنة الأولى في بعض الجامعات تُسمى السنة الإعدادية (Orientation)، وفي الألمانية (Sichorienttiern) يعني: يجمع معلومات (معرفة) عن شيء ما[(٢)]، فالمعنى اللغوي يدور حول: الطلوع وطلب العلم، والتعليم، والبحث، والتوجيه، والهداية، والإرشاد، والاهتمام.

تعريف الاستشراق في الاصطلاح: عُرف الاستشراق بتعاريف كثيرة من أهمها:

١. الاستشراق نوع من الإسقاط الغربي على الشرق وإرادة حكم الغرب للشرق.
٢. هو دراسات (أكاديمية) يقوم بها غربيون كافرون من أهل الكتاب بوجه خاص للإسلام والمسلمين من شتى الجوانب عقيدة، وشريعة، وثقافة، وحضارة، وتاريخاً ونظماً، وثورات، وإمكانات بهدف تشويه الإسلام ومحاولة تشكيك المسلمين فيه، وتضليلهم عنه، وفرض التبعية للغرب عليهم، ومحاولة تبرير هذه التبعية بدراسات ونظريات تدعي العلمية والموضوعية، وتزعم التفوق العنصري والثقافي للغرب المسيحي على الشرق الإسلامي[(٣)].

---

(١) لسان العرب (٢/ ٣٤١)، المعجم الوسيط (٤٨٢)، معجم متن اللغة لرضا (٣/ ٣١١)، الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية لبارت (١١).

(٢) الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية (١١ – ١٢).

(٣) انظر المصدر السابق.

ثانياً: نشأة الاستشراق:

لا يُعرف بالضبط من هو أول غربي عُني بالدراسات الشرقية ولا في أي وقت كان ذلك، ومن الصعب تحديد بداية للاستشراق، وقد اختلف الباحثون في ذلك، ومن أقوى هذه الآراء:

١. يرجعه كثيرون إلى قيام الدولة الأموية في القرن الثاني الهجري بواسطة يوحنا الدمشقي.
٢. يرجعه آخرون إلى أيام الدولة الإسلامية في الأندلس عندما قصد بعض الرهبان الغربيين الأندلس في إبان عظمتها ومجدها ومن أوائل هؤلاء الرهبان هوبردي أورليات (٩٣٨ – ١٠٠٣م) ثم قام رئيس أساقفة طليطلة (جيرار دي كريموتا) (١١١٤ – ١١٨٧م) بترجمة مالا يقل عن (٨٧) مصنفاً في الفلسفة والفلك وضرب الرمل، وقام (بطرس المكرم) (١٠٤٩ – ١١٥٦م) بتشكيل جماعة من المترجمين للحصول على معرفة موضوعية عن الإسلام، ونقل يوحنا الإشبيلي وهو يهودي متنصر في متنصف القرن الثاني عشر الميلادي إلى العربية كتباً، وبعد أن عاد هؤلاء الرهبان إلى بلادهم نشروا ثقافة العرب، وكذلك مؤلفات أشهر علمائهم، ثم أُسست المعاهد للدراسات العربية وأخذت الأديرة والمدارس الغربية تدرس مؤلفات العرب المترجمة إلى اللاتينية، وهي لغة العلم في جميع بلاد أوروبا يومئذ، واستمرت الجامعات الغربية تعتمد على كتب العرب وتعتبرها المراجع الأصلية للدراسة قرابة ستة قرون.
٣. ويعود به آخرون إلى أيام الحروب الصليبية حيث كانت هي بداية الاحتكاك الفعلي بين المسلمين والنصارى، وكانت الحروب الصليبية هي الدافع الأساسي للنشاط الاستشراقي خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر الميلادي، وكان اتصالاً عدائياً مسلحاً، وممن ظهر في هذه الفترة الإنجليزي (روجر بيكون) (١٢١٤ – ١٢٩٤م) ترجم عن العربية كتاب مرآة الكيمياء (وريموند لل) (١٢٣٥ – ١٣١٤م) قصد بابا روما وطالبه بإنشاء جامعات تُدرس العربية لتخريج مستشرقين قادرين على محاربة الإسلام، ووافقه البابا على ذلك، وفي عام (١٣١٢م) صدر قرار مجمع فينا الكنسي بإنشاء كراسي اللغة العربية في خمس جامعات أوربية هي باريس، أكسفورد، ايطاليا، إسبانيا، روما، وأصبحت هذه الجماعات تنفق بسخاء على الاستشراق والمستشرقين، وأُنشئت كليات لتدريس اللغات الشرقية في عواصم أوروبا في مطلع القرن الثالث عشر الهجري، وأواخر القرن التاسع عشر الميلادي، وكان الغرض الأول منها تزويد السلطات الاحتلالية بخبراء في الشؤون الإسلامية، ثم أخذ الطلاب المسلمون يؤمون هذه الكليات الأوروبية للدراسة فيها، ثم عمل المستشرقون في الدوائر العلمية والجامعات في كثير من الدول الإسلامية، ومنذ القرن السادس عشر الميلادي بدأت الطباعة العربية بنشاط كبير، فتحركت الدوائر العلمية وأخذت تُصدر الكتب الكثيرة وفي القرن الثامن عشر الميلادي بدأ الغرب في احتلال العالم الإسلامي والاستيلاء على ممتلكاته، فبدأ عدد من علماء الغرب يشترون المخطوطات العربية بأسعار زهيدة أو يسرقونها من المكتبات العامة التي كانت في غاية الفوضى، وقد بلغت المخطوطات التي نُقلت إلى أوروبا مائتين وخمسين ألف مجلد في أوائل القرن التاسع عشر الميلادي، وبعد تأسيس

الجمعيات العلمية مثل الجمعية الأسيوية البنغالية، والجمعية الاستشراقية الأمريكية، والجمعية الملكية الأسيوية البريطانية وغيرها، فأسهمت جميعها إسهاماً فعالاً في البحث والاكتشاف والتعرف على الشرق وحضارته وثقافته، ثم بدأ عقد المؤتمرات الاستشراقية فعُقد أول مؤتمر في باريس عام (١٨٧٣م) ثم توالت المؤتمرات التي تهتم بالدراسات في الشرق وما زالت إلى الوقت الحاضر، وأنشأت الدول المحتلة عدة مؤسسات في البلاد الإسلامية التي خضعت لنفوذها لخدمة الاستشراق ظاهرياً، وخدمة الاحتلال والتنصير حقيقة، منها في مصر: المعهد الشرقي بدير الدومينكان، والمعهد الفرنسي، وندوة الكتاب، وكلية السلام، والجامعة الأمريكية وكلية فكتوريا، ومدارس الراهبات والفرنسيسكان والقرير، وفي لبنان جامعة القديس يوسف، وكلية السلام وغيرها وهكذا في كثير من الأقطار الإسلامية، واشتهر في العهد الاحتلالي عدد من المستشرقين الذين قاموا بإصدار مجلات في جميع الدول الإسلامية(١)، أما ظهور مصطلح الاستشراق فقد ظهر في أوروبا في إنجلترا عام (١٧٧٩م) وفي فرنسا عام (١٧٩٩م) وقد اتسع بعد ذلك ميدان الاستشراق فامتد لدراسة جميع ديانات الشرق وعاداته وحضاراته وجغرافيته وتقاليده ولغاته.

ثالثاً: أهم شخصيات الاستشراق:

إن من أشهر المستشرقين المتعصبين: جولد تسيهر (١٨٥٠ – ١٩٢٠م) (Coldizher) وُلد لأسرة يهودية، وكان أستاذاً للغات السامية عام (١٨٩٤م)، وكتب كثيراً حول الإسلام عقيدة وشريعة وتاريخاً، ومن كتبه (تاريخ مذاهب التفسير الإسلامي) و (العقيدة والشريعة) وكان له تأثير في الدراسات الشرقية حتى يومنا هذا، ومازالت بعض الجامعات الغربية تُقرر كتبه في مناهجها، وقد رد عليه كثير من المسلمين، ومن أبرزهم الدكتور مصطفى السباعي في كتابه (السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي)، ومن المتعصبين جون ماينارد (J Maynard) وهو أمريكي متعصب جداً من محرري مجلة الدراسات الإسلامية، وزويمر (١٨٦٧ – ١٩٥٢م) (Zweimer.M.S) وهو أمريكي مستشرق، رئيس المنصَّرين في المنطقة العربية من الشرق، له جهود معروفة في التنصير، وله آثار عدة في العلاقات بين النصرانية والإسلام، امتازت بالتعصب والتضليل الشديدين منها: (يسوع في أحياء الغزالي) ، (وفرنسيس الأسيزي والإسلام) وله كتب أخرى وكلها ضد الدين الإسلامي، وفون غرربناوم (١٩٠٩ – ١٩٧٢م) (Von Cranbanm.G) وهو ألماني يهودي، أسهم في تاسيس مركز دراسات الشرق الأوسط الذي أُطلق عليه اسمه فيما بعد، ومن أهم كتبه (الإسلام في العصر الوسيط)، (الأعياد المحمدية) وغيرها، وقد امتلأت كتبه بالاعتداءات الصارخة على الإسلام، وينسنك (Wensink.J.A) عدو للإسلام، عمل معجم مفهرس لألفاظ الحديث الشريف بتمويل من أكاديمية العلوم في إمستردام ومؤسسات هولندية وأوروبية أخرى، (وكينث كراج) (Cragg.K) أمريكي معاصر متعصب خلف زويمر في نشاطه التنصيري، ورئيس مجلة العالم الإسلامي التنصيرية، ولوي ماسنيون (١٨٨٣ – ١٩٦٢م) (Massingon.L) حصل على (دبلوم الدراسات العليا في بحث عن الغرب) والتحق بالمعهد

(١) رؤية إسلامية للاستشراق لغراب (١٠ – ٣٠)، موسوعة الاستشراق لمجموعة من الأكاديميين (٣٣ – ٤٠)، المستشرقون والجدل الإسلامي المسيحي لعرفان (٣٠ – ٤٠)، الاستشراق الخطة والاهداف (٥ – ٢٠)، الاستشراق لوطفه (٧ – ٢٥)، المستشرقون والجهاد لأبي شنب (١٥ – ١٨).

الفرنسي للآثار الشرقية في القاهرة، وزار العديد من البلاد الإسلامية منها: الحجاز، والقاهرة، والقدس، ولبنان، وتركيا، واشتهر بالتصوف الإسلامي وخاصة بالحلاج وكانت رسالته للدكتوراة بعنوان (الآم الحلاج شهيد التصوف) سنة ١٩٩٢م، وله اهتمام بالشيعة والتشيع، و.د.ب. ماكدونالد (١٨٦٣ – ١٩٤٣م) (D.B. Macdonald) إنجليزي وانتقل إلى الولايات المتحدة الأمريكية عام (١٨٩٣م) لتعليم اللغات السامية وأسس مدرسة كندي للبعثات عام (١٩١١م) وعمل في التنصير، وتنوع إنتاجه بين الدراسات الشرعية واللغوية، و د.س مرجليوث (١٨٨٥ – ١٩٤٠م) (D.S.Margoliouth) إنجليزي اهتم بدراسة اللغات السامية، فتعلم العربية، ومن أشهر مؤلفاته ما كتبه في السيرة النبوية، وكتابه عن الإسلام، وعن العلاقات بين العرب واليهود وغيرها، واتسمت كتبه بالتعصب المقيت والبعد الشديد عن الموضوعية، (وبارون كَّرادي فو) (١٨٦٧ – ١٩٥٣م) (Baron Carra devoux) فرنسي متعصب، درس اللغات الشرقية وخصوصاً اللغة العربية، كان أحد مؤسسي مجلة الشرق المسيحي، وتولى تنظيم مؤتمرات دولية للكاثوليك[1]، ويُعد من كبار محرري دائرة المعارف الإسلامية، وله من الكتب (عقيدة الإسلام) و (العبقرية السامية والعبقرية الآرية في الإسلام) و (ابن سينا) و (الغزالي)، و (هـ.أ.ر جب) (١٨٩٥ – ١٩٦٥م) (H.A.R.Gibb) إنجليزي وُلد في الإسكندرية، وانتخب لشغل منصب كرسي اللغة العربية بجامعة أكسفورد، ومن أبرز كتبه: (الفتوحات الإسلامية في آسيا الوسطى) و (دراسات في الأدب العربي المعاصر) و(الاتجاهات الحديثة في الإسلام) و(المذاهب المحمدية)، (و.ر.أ.نيكولسون) (١٨٦٨ – ١٩٤٥م) (R.A.Nicholson) إنجليزي وهو ينكر أن يكون الإسلام ديناً روحياً، وينعته بالمادية وعدم السمو الإنساني، ويصفه بالمادية، وعدم السمو الإنساني، كان يهتم بالتصوف الإسلامي فحقق (تذكرة الأولياء للعطار) و(اللمع للسراج) و(ترجمان الأشواق لابن عربي)، وهناك عدد كبير من المستشرقين اليهود، ومع ذلك لم يريدوا أن يعملوا داخل الحركة الاستشراقية بوصفهم مستشرقين يهود حتى لا يعزلوا أنفسهم، وبالتالي يقل أثرهم، ولهذا عملوا بوصفهم مستشرقين أوروبيين، وبذلك كسبوا مرتين: كسبوا أولاً فرض أنفسهم على الحركة الاستشراقية كلها، وكسبوا ثانية تحقيق أهدافهم من النيل من الإسلام، وهي أهداف تلتقي مع أهداف غالبية النصارى[2].

---

(١) الكنيسة الكاثوليكية: هي أكبر الكنائس النصرانية في العالم، وتدعي أنها أم الكنائس ومعلمتهن، تزعم أن مؤسسها بطرس الرسول، وتتمثل في عدة كنائس تتبع كنسية روما، وتعترف بسيادة بابا روما عليها، وسميت بالكنيسة الغربية أو اللاتينية، لامتداد نفوذها إلى الغرب اللاتيني خاصة، وتؤمن الكنيسة الكاثوليكية مثل باقي الكنائس الأخرى بإله واحد مثلث الأقانيم الأب، الابن، الروح القدس، على حسب ما ورد في قانون الإيمان النيقاوي لعام ٣٢٥م، كما تؤمن بأن للمسيح طبيعتين بعد الاتحاد: إحداهما لاهوتية والأخرى ناسونية، وتؤمن بتجسد الله – تعالى عن قولهم– في السيد المسيح من أجل خلاص البشرية من إثم خطيئة آدم وذريته من بعده، وتقدس السيدة مريم، وتؤمن بالإلهام كأحد مصادر المعرفة والوحي، ويقدسون الصليب ويتخذونه شعاراً، وتؤمن بنصوص الكتاب المقدس وبما يتضمنه من التوراة وأسفار الأنبياء وبالعهد القديم والجديد، ورسائل الرسل، وتؤمن بعصمة البابا عن ارتكاب المعاصي والأثام، وتعتقد أنه يوجد بعد الموت مكان ثالث يُسمى المطهر تُعتقل فيه النفوس التي لم تصل إلى درجة النقاوة الكاملة، وتظل تُعذب حتى تطهر بما بقي عليها من الدين للعدل الإلهي، وعندئذ يسمح لها بدخول الملكوت ولهم ترهات أخرى. انظر الموسوعة الميسرة (٢/ ٦١٠ – ٦٢٥).

(٢) انظر الموسوعة الميسرة (٢/ ٦٨٨ – ٦٩١)، الاستشراق للمطبقاني (٢٥ – ٥٠)، المستشرقون والتنصير للنملة (٣٠ – ٨٠)، المستشرقون والجدل الإسلامي المسيحي لفرحات (٣٠ – ٤٥)، ردود على شبهات المستشرقين لمراد (٣٥ – ٦٠)، الفكر الإسلامي الحديث للبهي (٣٥)، المستشرقون في كتابات المستشرقين لحميدان (٣٧)، الابتعاث ومخاطره للصباغ (١٥)، القرآن نزوله تدوينه ترجمته وتأثيره لبلاشير (٢٣/ ١٠٦).

المبحث الأول: الأهداف الرئيسية للاستشراق والمستشرقين وفيه ثمانية مطالب:

المطلب الأول: التشكيك في صحة القرآن الكريم:

منذ عهد النبي ﷺ لم يزل النقاد من الكفار وغير المسلمين يكررون آراء مشركي مكة حيال القرآن الكريم، وأخذ بعض علماء الغرب من المستشرقين يقومون باعتراضات وافتراضات مماثلة حول القرآن، وذلك بحجج متنوعة، وجميع هؤلاء المستشرقين يسعون بشتى الأساليب إلى الاستنتاج بأن القرآن الكريم من تأليف محمد ﷺ وأنه المخترع الرئيسي له، وإن كان من المرجح مع ذلك أن المعاونة التي حصل عليها من غيره في خطته هذه لم تكن معاونة يسيرة، وهذا واضح في أن مواطنيه لم يتركوا الاعتراض عليه، ثم زاد قولهم: بأن القرآن الكريم قد اتخذ شكله الحالي تدريجياً عبر تطورات وتعديلات تمت في القرنين الأول والثاني من الهجرة، ويعتمدون على قولهم هذا بادعاءات منها:

١. إن محمداً ﷺ كان رجلاً طموحاً واتخذ خطوات مدروسة للدور الذي قام به فيما بعد، وهو بالأخص كرس نفسه لفن الشعر ليستطيع نظم القرآن، وإنه لم يكن رجلاً دون معرفة بالكتابة والقراءة كما يزعم المسلمون، وإن لفظ (الأمي) المنسوب إليه يعني شيئاً آخر، وإنه اقتبس الأفكار والقصص من اليهودية والنصرانية ثم ضمَّنها القرآن، وإن كثيراً من الأخطاء العلمية المعاصرة خصوصاً تلك التي تتصل بالعالم أو الكون، معكوسة في القرآن كما يوجد فيه العديد من العبارات والمصطلحات الغريبة والمفردات الأجنبية وكل هذه الأمور تدل على أنه من تأليف محمد ﷺ وإن كلمة (الوحي) لا تعني إلقاء النص من الله وإنما تعني اقتراحاً وإشارة أو (التكلم الذهني) وكل هذه الادعاءات أوجدوها لأهداف محددة ومرسومة منها:

أ. توفير الأمن والاطمئنان للكنيسة من (الخطر) المحدق بها جراء انتصار الإسلام.

ب. إشاعة عناصر الكره والحقد المتأججة في صدور رجال الدين بين صفوف المجتمع الغربي والتأثير على العقلية الغربية، كي يمنعوا النصارى من تقبل الإسلام مستقبلاً.

ج. تأجيج العقلية الغربية ضد (العدو الكافر) أو المغتصب الذي استولى على مناطق المسيحية المقدسة، بما عبروا عنه بمصطلح استرداد الصليب أو بيت المقدس، والمراد بالعدو الكافر (الإسلام والمسلمين).

د. السعي الحثيث وبدون هوادة لمقاومة الدين الإسلامي ومقاومة الفتوح الإسلامية، وعلى تبني مواقف مؤيدة أشبه ما يكون دورها بما يُعرف بالطابور الخامس المساعد للغرب في إشاعة الإعلام المضاد والمعادي للإسلام، وذلك بوسيلة نشر ترجمات محرفة ومزيفة للقرآن الكريم ونشرها بين صفوف الناس.

إيجاد وسائل متعددة لتشجيع المبشرين وحركات التبشير المخالف، أي نشر النصرانية على حساب الدين الإسلامي والعمل الدؤوب والمضني في سبيل توحيد الجهة الغربية النصرانية ضد الإسلام، وكان كتاب الله – عزوجل – وسيرة سيد الأنام محمد ﷺ هما

الميدانان الرئيسيان اللذان صوبت نحوهما الأقلام الغربية، فضلاً عن مساعي الكنيسة في هذه المرحلة إلى تشجيع القيام بهذه المسؤولية كمساعي الراهب النشيط في الدعوة إلى النصرانية بطرس الناسك وحثه (روبرت الكيتوني) (الإنجليزي) على ترجمة القرآن الكريم، ولعله من غير المبالغ فيه أن هذين الموضوعين قد نالا الحصة الكبرى من توجهات الكنيسة في حركتها الرامية إلى مقارعة الإسلام والقرآن، لذا قام المستشرقون بترجمة القرآن الكريم وتحريفه، ومن تلك التراجم ترجمات بعينها ظلت مؤثرة في الكتابات التاريخية الاستشراقية نظير ترجمة المستشرق البريطاني ثم الأمريكي (رود وويل) (J.W.Roodwell) أستاذ الدراسات الشرقية في جامعة كمبردج بعنوان (القرآن) وترجمة (بالمر) (Ehpalmer) الأمريكي بعنوان (القرآن) بجزأين، وبالمر هو أستاذ اللغة العربية في جامعة كمبردج، وقد طُبعت هاتين الترجمتين عدة مرات، وقد احتوت هاتان الترجمتان على جملة أخطاء في فهم كلمات وتعبيرات ومصطلحات في النص القرآني، ومن أهم هذه الأمور تحريف الترجمة لكلمة الرسول إلى حواري المسيح، أو الشخص الذي يُرسل في بعثة (تبشيرية) أو المبشر أو الشخص الموثوق في معرفته بالعهد الجديد الذي يُرسل للتبشير بالإنجيل، أو الشخص الذي يبدأ أو يستهل إصلاحاً أخلاقياً عظيماً، أو الشخص الذي يدافع أو يدعم أي معتقد أو نظام مهم، وجميع هذه المعاني للكلمة التي استخدمها المترجمان لا تُعبر بصدق عن رسول الله ﷺ إنما تُشير إلى المبشر النصراني العالم بالعهد الجديد، ويحتمل جداً أن يكون الاختيار مقصوداً من قبل المترجمين للقرآن الكريم بهدف الإشارة إلى أنه ليس رسولاً، وإنما مبشر فقط، وبذلك يصبح القرآن الكريم مصدره منه، وكذلك عبر المترجمان عن كلمة (بلَّغ) بمعنى (أعلن أو صَّرح أو أظهر) وهي مخالفة جداً للمعنى البلاغي القرآني لكلمة (بلَّغ)، وألغيا جزء مهم جداً من الآية: ﴿فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ [المائدة: ٦٧] وهو تعبير مهم جداً في رسالة التبليغ بالأمر الذي أنزله الوحي على رسول الله ﷺ بلزومية تبليغه للمسلمين، ثم ترجما هذا الجزء بترجمة ضعيفة مقصودة (لا تحجب أو لا تحتفظ به لنفسك) وشتان بين المعنيين، وقد قام المستشرق (بالمر) بتغيير أرقام الآيات في عدد من السور كسورة آل عمران وهود والأحزاب وغيرها، وقد قام المترجمان بحذف تعبير مهم يوضح أسباب نزول الوحي، فيقولان: (إن صوتاً جاء ولا يعرف الشخص القائل أو صاحب ذلك الصوت عندما كان رسول الله مسجَّى)، وقد حرفا آية (آل النبي) إلى معنى الناس والمجتمع ومجموعة من الناس، فالآية تُشير حصراً إلى أفراد بيت النبوة دون غيرهم وهم: (الرسول ﷺ وزوجاته وعلي وفاطمة والحسن والحسين) وهذا الوصف متفق عليه عند المفسرين من أهل السنة، فانظر إلى مدى التحريف والتضليل والتغيير في معاني الآيات!!، وقد قام المستشرقون بترجمة القرآن الكريم في كتب كثيرة تطفح بالحقد على القرآن الكريم، وقاموا بترجمة هذه الكتب بمعظم اللغات كالهولندية والإنجليزية والألمانية واللاتينية والفرنسية والروسية والأمريكية والإيطالية والصربية والكرواتية والأسبانية والسويدية والدانمريكة والبرتغالية والرومانية وجميع هذه الترجمات تزعم أن القرآن الكريم قد تطور عبر القرنين الأول والثاني من الهجرة، ويعتمدون على مزاعم اخترعوها منها:

١. إن المصادر التاريخية الإسلامية ليست معاصرة ولا يمكن تصديقها.

٢. إن الحفريات الأثرية في جزيرة العرب كشفت العديد من النقوش القديمة تدل على عدم وجود القرآن في القرن الأول الهجري، وإن المخطوطات القرآنية القديمة التي عُثر عليها مؤخراً تُشير إلى تطور القرآن خلال فترة طويلة.

٣. إن نقد النص القرآني يشير إلى أخطاء في نسج القرآن.

ويتضح مما سبق أن مزاعم المستشرقين لها جوانب متنوعة وأبعاد خطيرة، وأنهم لا يكفون عن محاولات النيل من القرآن الكريم فمثلاً (ريتشارد بل) يزعم بأن النبي ﷺ قد استمد القرآن من مصادر يهودية ومن العهد القديم بشكل خاص، وكذلك من مصادر نصرانية، ويقول جوستاف لوبون عن القرآن: (ليس في عامية القرآن ولا صوتيته أو هويته الصبيانية التي هي من صفات الأديان السماوية ما يقاس بنظريات الهندوس) ويقول رينان: (إن الفلسفة العربية هي الفلسفة اليونانية مكتوبة بأحرف عربية)، فملة الكفر واحدة، حيث إن المستشرقين وإن اختلفت أجناسهم ولغاتهم يجتمعون في أمر واحد هو العداء للإسلام والمسلمين[1]، والتشكيك في صحة القرآن الكريم للقضاء على الدين الإسلامي.

المطلب الثاني: الطعن في سيرة وسنة النبي ﷺ:

لقد اهتم المستشرقون بحياة الرسول ﷺ وشخصيته ودعوته وسيرته وأخلاقه وشمائله وسننه، ولقد شهدت مدة القرنين التاسع عشر والعشرين تطورات هائلة متمثلة بالقفزات السريعة التي طرأت على عالم الصناعة والتكنولوجيا والعلوم، وقد أثر هذا التقدم تأثيراً ملموساً على التكوين الاجتماعي والاقتصادي لمجتمعات أوروبا، وبهذا التطور العلمي والصناعي والاجتماعي قد أعطى دفعاً جديداً للدراسات الاستشراقية في القرون التاسع عشر والعشرين والواحد والعشرين، فصارت تلك الدراسات مصادر يُعتمد عليها، لكن أغلبها كان يعوزه الهدف والفكرة ضمن الخط الاستشراقي عدا – بطبيعة الحال – الهدف الديني الواضح، ففي هذا الوقت أخذت الدراسات الاستشراقية تميل إلى مذاهب ومدارس وأغراض مؤثرة، فصار لها مناهج وأهداف متباينة نتيجة ظهور أفكار وحركات ثورية قادتها الطبقة العاملة التي قاست من جراء تزايد حجم الرأسماليين وأرباحهم، وقد برزت هذه التطورات في توجيه بعض الدراسات الاستشراقية ومنها كتاب (هيوبرت جريم) (محمد) الذي نُشر في سنة (١٨٩٢م) الذي رأى أن الرسول ﷺ مؤسس الديانة الإسلامية، وأن رسالته اجتماعية في أصولها وطبيعتها ولم تكن رسالة دينية، وأن التبشير بالدعوة الإسلامية كان رد فعل للحقد والسخط الكبيرين على عدم تحقيق العدالة في توزيع الثورات، فانطلقت من الرغبة المتأججة في نفوس الناس لإيجاد مجتمع إنساني آخر يحل محل المجتمع المكي المعقد، وعلى هذا فالثورة الإسلامية هي ثورة البروليتاريا، وبذلك جرد الدعوة الإسلامية من مقوماتها الدينية والروحانية، وألف أيضاً المبشر المتعصب (هنري لامانس) كتباً وبحوثاً كثيرة عن السيرة النبوية وتاريخ صدر الإسلام، ووقف موقفاً من الحديث النبوي الشريف، وشكك بصورة مطلقة في صحة هذه الأحاديث، وبكل ما ورد بخصوص المعلومات التي تُسلط الضوء على أمانة الرسول ﷺ وصدقه واصفاً إياه بتعبير تهجمي

(١) الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي للبهي (٢١)، الاستشراق والخلفية الفكرية لزقزوق (٧٢)، الصراع بين الفكرة الإسلامية والغربية للندوي (١٧٩)، آراء المستشرقين حول القرآن لرضوان (١/ ٣٣)، ردود على شبهات المستشرقين لمراد (٣٢).

هو (الحالم العظيم) فكان موقف غير علمي، ولم يتبع أبسط قواعد المنهج البحثي حيث اعتمد على مؤلفات السيرة النبوية ومؤلفات الطبقات والتراجم والرجال، واقتبس منها ولكن من زاوية توافق قراءته وتتواءم مع وجهات نظره المعدة سلفاً، فكان يميل إلى منهج الأخذ بالضد في كتاباته التاريخية، وعلى هذا الأساس كذَّب ما ورد في تلك المؤلفات عن صدق رسالة الرسول ﷺ وأنكر المعلومات التي تفيد بأنه ﷺ كان يتعبد بغار حراء حتى يتوصل لإنكار الرسالة والوحي، واتضحت هذه المرئيات في بحوثه (القرآن والحديث) (ومحمد وأمانته) و (جمهورية التجار في مكة) فهو ينتقد الرسول ﷺ ويميل إلى المكيين المعاديين للدعوة الإسلامية، ويرفض كل الروايات المتعلقة بالمدة المكية للدعوة الإسلامية، ولذلك انتقده عدد من المستشرقين أمثال بيكر، وشاخت بالتعصب الديني، مما أضعف قيمة آرائه[1]، ولا غرابة من ذلك حيث إن لامانس كان أيضاً متعصباً للآراء التي دونت أثناء العصور الكنسية والأوروبية الوسطى، بالإضافة إلى أنها نتيجة اتجاهه التبشيري، وللعلاقة الفرنسية العربية، فهو قد عاش مدة التصارع الطائفي في لبنان، كما أنه كان المدافع عن السياسة الفرنسية وسيطرتها على أجزاء من المنطقة العربية في أعقاب الحرب العالمية الأولى، وهذا الاتجاه يمثله أيضاً (بلاشير الفرنسي) الذي كتب كتاب (مشكلة محمد) الذي يمثل انتكاسة في التفكير الاستشراقي، والعلاقة السيئة المشينة بين العرب والمستعمرين الفرنسيين والبريطانيين، لأن هؤلاء المستعمرين قد تنكروا لوعودهم التي كانوا قد قطعوها للعرب قبل الحرب، فلم تكن إسهامات مستشرقي هذه المرحلة جميعها إلا متسمة بالعداء المقيت للرسول ﷺ وسنته، ومن هنا كان على محمد أن يحتاط مرة بعد مرة من أن يضعه مواطنوه في مصاف هؤلاء الكهان ومرتبتهم)[2].

ومن هنا يتضح أن أهم الأمور التي وُجهت للطعن في رسالة الرسول ﷺ وسنته هي كالآتي:

١. أن الأحاديث التي كُتبت في الكتب الستة والموطأ والدارمي والدار قطني والبيهقي والسيوطي، مأخوذة إلى حد كبير من التلمود، وهذا ما نُشر في دائرة معارف الشرق عام (١٧٣٨م)[3].
٢. التفريق بين السنة التي التزم المسلمون بتطبيقها وبين الحديث الذي هو مجرد خبر تاريخي غير موثوق على حسب زعمهم[4].
٣. تكذيب الرسول ﷺ واتهامه بالزيف والألقاب الأخرى، والزعم بأن الرسالة الإسلامية مستقاة من التلمود، واليهود الذين دخلوا في الإسلام، ومن ديانات وحضارات كانت على صلة بجزيرة العرب[5].

(١) المستشرقون والإسلام لعبد الحميد (٥٠ – ٨٠).

(٢) تاريخ الشعوب الإسلامية لكتارل بروكلمان (١٦٠)، مجلة الرسالة – أغراض المستشرقين لمحمد كرد علي (١٦٠)، مجلة الاستشراق والمستشرقون بحث لعمر فروخ (٥٤ – ٦٣).

(٣) من الذين قالوا بهذا القول: هوبلو وجولد تسيهر وشاخت.

(٤) من الذين قالوا بذلك القول: كايتاني، وميور، وشبرنجر، وجولد تسهير.

(٥) من الذين قالوا بذلك القول كايتاني، وميور، وشبرنجر، وجولد تسهير.

٤. اتهام السنة والرسالة الإسلامية بعدم التمييز في دراسة أصول الشريعة، وإن الزهري[١] أول من جمع الحديث مما يولد فجوة تاريخية بين مرحلة النطق بالأحاديث وتدوينها، مما يشكك في إمكانية الثقة بها[٢].

٥. إن وضع الحديث والسنة بدأ في جيل الصحابة المبكر، وأن معظم الأحاديث وضعتها الفرق السياسية الكلامية والمذهبية في القرنين الثاني والثالث[٣].

٦. أن أصول الإسلام والسنة النبوية أُخذت جميعها من اليهودية والنصرانية، مع تأثير الهلينيه في تطور الإسلام، والقانون الروماني في نمو التشريع الإسلامي[٤].

٧. اختلاق الأحاديث المتعلقة بالعقيدة الإسلامية، والأسانيد، وأن الأحاديث اختلقها الفقهاء، وأن الشافعي هو الذي استحدث حجية السنة[٥].

٨. الطعن في مسند مالك عن نافع عن ابن عمر، وبأن نافعاً مات ومالك صغير وهذا عين الكذب.

٩. انتقاد طريقة اعتماد الأسانيد في تصحيح الأحاديث لاحتمال الدس في سلسلة الرواة[٦].

١٠. اعتبار نصف أحاديث صحيح البخاري ليست أصلية، ولا يوثق بها، وأن الأسانيد أضيفت إلى المتون فيما بعد بتأثير خارجي، لأن العرب لا يعرفون الإسناد، وأنهم أخذوها عن التلمود[٧].

١١. أن الرسول ﷺ لم يترك أوامر ولا أحكاماً سوى القرآن[٨].

المطلب الثالث: زعمهم استمداد الفقه الإسلامي من الرومان:

إن المستشرقين قد أثاروا هذه الشبهة وتداولوها كثيراً وطرحوها في أكثر من مجمع وبحثوها في أكثر من مكان وألَّفوا فيها المصنفات، وهذه الشبهة هي زعمهم استمداد الفقه الإسلامي من الرومان، فقال المستشرقون لقد قارنا بين القانون الروماني والقانون الإسلامي (الفقه الإسلامي) فوجودنا أنه مأخوذ منه، ولو بحث المسلمون في كتب السلف بل حتى الخلف لا يجدون لهذه الشبهة ذكر، ولم يقُل بها أحد من علماء المسلمين، ولا طُرحت حتى عند علماء اليهود والنصارى، فهذا الزعم نشأ وترعرع وانتشر على إيدي المستشرقين[٩]،

---

(١) من تحريفات جولد تسيهر اتهامه للإمام الزهري بأنه كان (مستعداً لأن يضع الأحاديث لبني أمية، وأن يكسو رغبات الحكومة باسمه المقترن به عند الأمة الإسلامية، ولم يكن الزهري من أولئك الذين لا يمكن الاتفاق معهم، ولكنه كان يرى العمل مع الحكومة، فلم يكن يتجنب الذهاب إلى القصر، بل كان كثيراً ما يتحرك في حاشية السلطان، بل إننا نجده في حاشية الحجاج عندما ذهب إلى الحج وهو ذلك الرجل المبغض) ويريد بذلك أن يوهم القارئ أن الزهري كان تابعاً لذوي السلطة، يجري في فلكهم ويستمتع بالقرب منهم في مقابل ما يؤديه لهم من خدمات في تخصصه، أي العلم بالحديث، حيث يخترع لهم الأحاديث التي (تكسو رغبتهم ثوباً دينياً) انظر كتاب السنة ومكانتها في التشريع للسباعي (٢٢٣).

(٢) من الذين قالوا بهذا القول: كايتاني، وميور، وشبرنجر، وجولد تسيهر.

(٣) من الذين قالوا بهذا القول: شاخت، وكيوم، وواط، وروبسون وكلهم من رجال الكنيسة.

(٤) من الذين قالوا بهذا القول: ميور، وكايتاني، وهوروفتس.

(٥) يُنسب هذ القول إلى: مرجليوت، وجولد تسيهر.

(٦) يُنسب هذا القول إلى: نيكلسون، وكولسون.

(٧) من الذين قالوا بهذا القول: ميور، وكايتاني، وهورفتس.

(٨) من الذين قالوا بهذا القول: نيكلسون، وكولسون.

(٩) تطور الاستشراق في دراسة التراث العربي لناجي (٨٦ – ٨٧)، رؤية إسلامية للاستشراق لغراب (٧ – ٨).

وأعظم ما يرتكزون إليه هؤلاء في هذا الزعم هو وجود التشابه بين القانون الإسلامي والقانون الروماني، هذا المستند الذي ارتكزوا عليه وجعلوه عمدتهم فيقولون: (إن في القانون الروماني تُقطع يد السارق، وفي القانون الإسلامي تُقطع يد السارق، وإنه من قطع أنفاً قُطع أنفه، ومن قطع يداً قُطعت يده، وكذلك في سائر الجروح وهذا موجود في الفقة الإسلامي، وإن التشابه بين نظامين يكون في الغالب أن المتأخر متأثر بالمتقدم)، ثم أرادوا أن يزيدوا الأمر وقالوا: إن الفقهاء المسلمين وجدوا الترجمات العربية للقانون الروماني عندما فتحوا الشام في الأديرة، والشام قبل أن يدخلها الإسلام كان عامتها على دين النصارى على مذهب الكاثوليك، ويزعمون أن الأوزاعي – يرحمه الله – أسس مدرسة سرية بتلاميذ، أخذوا يطّلعون على القانون الروماني، ثم بعد ذلك ينقلونه إلى القانون الإسلامي، ويؤكدون أن الأوزعي أخذ القوانين الرومانية وأخرجها على هيئة أحاديث منسوبة للنبي ﷺ وبعد ذلك أدخله وروجه عن طريق الأحاديث الضعيفة والموضوعة، فأدى ذلك إلى أن هناك تشابه كبير بين النظامين، وبذلك يكون الفقه الإسلامي فقها عالة على غيره، وليس فقهاً أصيلاً يمكن الاعتماد عليه، وهذا الزعم باطل من أساسه وليس لديهم دليل واحد يعتمدون عليه في هذا الزعم الباطل، والصحيح أن وجود بعض أصناف التشابه لا يعني التطابق، ولا يعني كذلك الاقتباس، وإن وُجد بعض التشابه فلا يعني ذلك أن الفقه الإسلامي مستمد من القانون الروماني، ولو وُجدت بعض المسائل فيها بعض التشابه فهناك في القانون الروماني أن من استقرض من إنسان شيئاً أو ثبت له في ذمة إنسان آخر شيء من المال ولم يمكنه الوفاء، فإن لصاحب الحق أن يستعبد المدين، وهذا بخلاف الفقه الإسلامي الذي يشجع بكثير من الطرق تحرير العبيد والإماء، ومن الأمر الذي يؤكد كذب زعمهم أن كثيراً من الأحكام الفقهية مصدرها الكتاب والسنة فهل يُقال إن القرآن والسنة من الرومان أيضاً، وأما قولهم بقطع يد السارق والمقاضاة بالجروح فهذه الأحكام الجنائية قد جاءت في القرآن الكريم فكيف يقال بأن هذه الحدود أُخذت من القانون الروماني؟ ومن أهم الأمور التي تُدحض هذا الزعم والافتراء المكذوب أن كتب التاريخ والسير وضحت أن بداية التشريع الإسلامي كان القانون الروماني قد اضمحل وانتهى لفساده وعدم اعتداد أهله به، بل يثبت التاريخ أن الحضارة الرومانية قد اندحرت واندثرت، ونشأت حضارات أخرى قبل الرسالة الإسلامية، فكيف يأخذ المسلمون من قانون فاسد لا يسمن ولا يغني من جوع[1] يقول ابن خلدون – يرحمه الله –: (إن المغلوب يتأثر بالغالب) فلا شك بهذه القاعدة الاجتماعية المعروفة، فكيف يزعم المستشرقون أن المسلمين قد أخذوا من القانون الروماني الفاسد مع أن المسلمين هم الذين انتصروا على الحضارة الرومانية، وأما زعمهم عن الأوزاعي فهو كذب محض، فالإمام الاوزعي منسوب إلى مدرسة أهل الحديث وهو من أهل الحديث، وكان في عهده مدرستان مدرسة أهل الظاهر ومدرسة أهل الرأي، ولا يمكن أن يقال: إنه استطاع أن يؤثر على كل هذه المدارس ويبلغ به التأثير إلى أن يُدخل الأحاديث الضعيفة والموضوعة في الفقه ويقف باقي العلماء دون أن يفضحوا أمره وشأنه.

ومما يزعم به المستشرقون بأن الأحاديث الضعيفة والموضوعة هي الأساس الذي بُني عليه الفقه الإسلامي، فهذا زعم لا يحتاج إلى توهينة وتضعيفه، حيث إنه بُني على باطل وما بُني على باطل فهو باطل، فلسان الحال ولسان المقال يوضحان كذب هذه الفرية فإن

---

(١) رؤية إسلامي للاستشراق – أحمد عبد الحميد غراب (٧)، أوروبا والإسلام صدام الثقافة والحداثة لجعيط (٤١).

السنة النبوية وصلت إلينا صحيحة نقية، حيث إن أهل السنة والجماعة يعتبرون أن الحجة لا تقوم إلا بالسنة الصحيحة الثابتة عن النبي ﷺ بنقل العدول، ولذلك اعتنى أئمة أهل السنة والجماعة بالحديث النبوي لحد لا يستطيع أن يصف الإنسان ما قاموا به من جهد عظيم.

المطلب الرابع: النيل من اللغة العربية:

تظهر أهمية اللغة العربية على باقي اللغات واللهجات لأنها اللغة التي اختارها الله – عزوجل – لأن تكون مشرفة بنزول القرآن الكريم، وقد عرف المستشرقون أنه ما دامت اللغة العربية حية في نفوس المسلمين فإنهم لا يزالون قادرين على فهم الإسلام، ولذلك جاءت اللغة العربية في مقدمة الكلام في المحتوى الاستشراقي، ومنذ البداية اهتم المستشرقون بدراستها، ومما يوضح ذلك أن (رايموند لول) اشترى أسيراً عربياً أسترقه ليعلّمه اللغة العربية والعلوم الإسلامية وسعى لدى البابا لكي يأمر بإنشاء كراسي في اللغة العربية في جامعات أوروبا لتعليم بعض النابهين اللغة العربية، وتخريج المستشرقين مع أن معرفة الأوروبيين باللغة العربية قد بدأت قبل ذلك بقرون عدة في القرن التاسع الميلادي، وكانت معرفتهم بها في الأندلس ثم صقلية، وكانت في الأندلس من الشيوع لدرجة التي أرقّت أحد رهبانهم البار القرطبي إذ قال: (إن نصارى أسبانيا لم يعودوا يهتمون بدراسة اللاتينية لغة الكتاب المقدس، ولكنهم يتقنون الكلام بالعربية والكتابة بها، بل إن من بينهم كثير من يجيدون نظم الشعر العربي)[(١)]، ومن هنا نجد المستشرقين حاولوا بكل ما أُوتوا من الحيل والخداع للغض من شأنها والتشجيع على تركها بالكلية، فهي تقض مضاجعهم، ومن العجيب أن يسميها المحتلون الفرنسيون والبريطانيون في مستعمراتهم بأنها لغة المستعمر، واللغة العربية وإن كانت تقلق أعداء الإسلام في الدول الشرقية والغربية على حد سواء، لكنهم مع عداوتهم لها يهتمون بها اهتماماً عظيماً، فهم يقبلون على تعلمها بنهم شديد بغرض التصدي للإسلام وأهله، ومحاربتهم بنفس لغتهم وأساليبهم، وبذلوا في ذلك جهوداً جبارة حتى صار منهم عباقرة في اللغة العربية نثراً ونظماً، وألّفوا المعاجم المطولة فيها، وفتحوا مدارس لتعليمها ممن يقع عليه اختيارهم من النابهين منهم، وأكملوها بجامعات ودراسات عليا لتخريج المستشرقين والمنّصرين ومن تبعهم لبثهم في العالم الإسلامي مُزوَّدين بشبهات أملتها يد الحقد على الإسلام، ومخاصمين المسلمين بلغتهم التي يفهمونها لكي يكسر الشجرة أحد أعضائها كما أوصاهم زويمر، ولم يقصروا في اهتمامهم باللغة العربية تعليماً فقط، بل أنشأوا مطابع بالحروف العربية لتتم دراستهم لها، وليتمكنوا بعد ذلك من بث سمومهم ضدها، وهم على يقين من أن لكل صانع صدى، كما أنهم تعلموا العربية ليزيدوا من استعلائهم على العرب المسلمين حين يتم احتلالهم لهم الاحتلال الذي خططوا له ونفذوه بالقوة والقهر سنين عدداً، واستغل المستشرقون التعليم وحولوه إلى أداة تخريب للقيم والأخلاق والدين على أيدي أناس لا يخافون الله ولا يرقبون في مؤمن إلاً ولا ذمة، فجاءت جحافل أعداء الإسلام من الصليبين وأتباعهم ممن باعوا أنفسهم لهم ليطفئوا نور الله بأفواههم: ﴿وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [الصف: ٨]، ولقد اشتدت ضراوة المعارك بين

(١) أثر العرب والإسلام في النهضة الأوروبية لمجموعة من العلماء المصريين (٣٢)، الفتوحات الإسلامية في فرنسا وإيطاليا في القرون الثامن إلى العاشر لجوزيف رينو (٢٤٦)، تجديد الفكر الإسلامي لسلطان (١١ – ٤٣).

الإسلام وأعدائه عن طريق التعليم ومحاربة اللغة العربية في حروب سافرة لم يعد الإخبار عنها سراً مكتوماً في نفوس المخططين لها، بل ذهبوا يتبجَّحون علناً بذلك، يقول المبشر (هنري هريس جب): (إن المدارس شرط أساسي لنجاح التبشير، وهي بعد هذا وسيلة إلى غاية لا غاية في نفسها، لقد كانت المدارس تُسمى بالإضافة إلى التبشير (دق الإسفين) وكانت على الحقيقة كذلك في إدخال الإنجيل إلى مناطق كثيرة لم يكن بالإمكان أن يصل إليها الإنجيل أو المبشرون من طريق آخر)، ويقول أيضاً: (لقد فقد الإسلام سيطرته على حياة المسلمين الاجتماعية وأخذت دائرة نفوذه تضيق شيئاً فشيئاً حتى انحصرت في طقوس محدودة، وقد تم معظم هذا التطور تدريجياً عن غير وعي وانتباه، وقد مضى هذا التطور الآن إلى مدى بعيد، ولم يعد من الممكن الرجوع فيه، لكن نجاح هذا التطور يتوقف إلى حد بعيد على القادة الزعماء في العالم الإسلامي، وعلى الشباب منهم خاصة، كل ذلك كان نتيجة النشاط التعليمي والثقافي العلماني)، ويقول المبشر (دابني) عن دور المعلم المسيحي والمعلم المسلم: (إذا كانت الغاية من التعليم في المدارس التبشيرية –كما يجب أن تكون – إنما هو تزويد الطلاب باستشراق مسيحي للحياة، وتمريناً لهم على ممارسة المسيحية وتقربهم من اختيار شخصي للإيمان المسيحي)، ويقول المبشر (تكلي): (يجب تشجيع إنشاء المدارس على النمط الغربي العلماني، لأن كثيراً من المسلمين قد تزعزع اعتقادهم بالإسلام والقرآن حينما درسوا الكتب المدرسية الغربية وتعلموا اللغات الأجنبية)[1] وبذلك أصبح التعليم كله في معظم الدول الإسلامية على مختلف أقسامه يهدف إلى غاية واحدة وهي إعلاء الفكر المضاد للإسلام وللغة العربية ومحاربة القرآن والسنة، أما الفن والشعر والعلوم والتاريخ والرياضة والتمثيليات والمسرحيات والرحلات الطلابية والمسابقات الثقافية وسائر العلوم الأخرى كلها لابد فيها من تحقيق الطموح الغربي والتنفيس عن الحقد الصليبي، ولقد ابتكر المستشرقون وسائل كثيرة لإبعاد اللغة العربية عن الصدارة منها: منعها من دخول المدارس العامة، مع إدخال لغة المحتلين التي أصبحت هي اللغة الرسمية في المدارس والدوائر الحكومية، والتي توصف لطلاب العلم بأنها هي لغة الرقي والتطور والسبيل إلى نيل الشهادات العالية والوظائف المحترمة لدى الدول، بينما يُشار إلى اللغة العربية بأنها لغة التخلف والمتخلفين ويكيلون لها التهم وألوان الاستهزاء بها وأنها لغة يجب أن تموت لتحل محلها لغة التطور والصناعات المختلفة، ي الوقت الذي شجعوا فيه اللهجات العامية – المحلية – أي التي لا ضرر فيها على المحتلين ولا على المستشرقين وكان أكثر العرب تقبلاً لإقصاء الفصحى هم النصارى[2].

وأخذ المستشرقون يؤكدون على أن اللغة العربية لغة التخلف والمتخلفين وكالوا لها التهم وألوان الاستهزاء بكل الوسائل والطرق لمحاربتها والنيل منها، ومن الوسائل الماكرة التي لجأ إليها المستشرقون أيضاً أن جعلوا الطالب الذي يمتحن اللغة العربية ولم ينجح منها لا يُعتبر راسب بل من حقه أن يُرفع إلى السنة التي تليها، وهناك حيلة أخرى للقضاء على اللغة العربية الفصحى وهي أن يكفي لنجاح

---

(١) انظر هذه الأقوال في كتاب غزو في الصميم للميداني (٢٥ – ٢٩)، أجنحة المكر الثلاثة للميداني (٢٥٣ – ٢٦٤)، الاستشراق لفرج (١٠٢ – ١٠٣)، المستشرقون وتاريخ صلتهم بالعربية لعمايرة (٨٩).

(٢) المستشرقون وتاريخ صلتهم بالعربية ضمن بحوث مجلة المنهل السعودية العدد (٥٥). (٨٩)، المسار الفكري للاستشراق لأصف حسين (٥٧١)، تراجم القرآن الأجنبية في الميزان لأبي فراج (٧٣)، لغة الضاد في ملف المستشرقين لزهر الدين (٨٧ – ٨٨)، العرب تاريخ ومستقبل لبيرك (١٨٤).

الطالب فيها أن يُشترط عليه الحصول على نسب مئوية متدنية جداً وبالتالي يتخرج الطالب دون أن يهتم بلغته الأم فضلاً عن أن يجيدها، بل وقد ذهبوا إلى أكثر من ذلك وهي دمج المواد المتشابهة وإعطائها درجة واحدة فتُضم مواد اللغة العربية من نحو، وصرف، وبلاغة، وأدب، وإملاء، وخط، وقراءة، وتعبير، ونصوص، وعروض في مادة واحدة كذلك[1]، وبالتالي تقل صلة الطالب باللغة العربية.

المطلب الخامس: افترائهم بإرجاع الإسلام لمصادر يهودية ونصرانية:

المستشرقون يتفقون فيما بينهم على زعم زعموه، وهو أن الدين الإسلامي قبس من التوراة والإنجيل في الأساس، وبعض الموروثات الثقافية العربية في العصر الجاهلي، ولكن زعمهم الأول أقوى، وهو أن الإسلام مأخوذ من التوراة بالدرجة الأولى ثم الإنجيل، وكل مستشرق يأخذ هذه الفرية ممن سبقه على أنها مسلمة استشراقية، تسيطر على المستشرقين جميعاً، ولهم في ذلك فروض افترضوها يقول (مونتيه): (إن الدين اليهودي هو المصدر الرئيسي للقرآن، وبالتالي فهو المصدر الرئيسي للعقيدة القرآنية، هذا صحيح فهو يخضع للتأثير اليهودي أكثر مما يخضع للتأثير النصراني)[2]، ويرى (مونتيه) أن قصة الطير التي وردت في القرآن الكريم مع إبراهيم ﷺ مأخوذة من التوراة عن قربان الميثاق الذي عقده إبراهيم مع ربه[3] في سفر التكوين، وحكاية التوراة تتحدث عن أربع من الحيوانات والطير لا عن أربعة من الطير: عجلة وعنزة وكبش ويمامة أو حمامة لم توزع على جبل ولم يسأل فيها إبراهيم ﷺ ربه أن يحي الموتى ثم أنها ليست أكثر من رؤيا وشتان بين القصة والحكاية التوراتية[4]، ويستشهد مستشرق آخر على الاستمداد التوراتي بعبارة وردت في المزمور توافق عبارة قرآنية في قوله – تعالى –: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٥]، أما عبارة المزمور فهي: (الصديقون يرثون الأرض)[5] وقد تغافل المستشرق أنه يمكن التوافق في المعنى والمقصد بين معنى قرآني ومعنى آخر أياً كان مصدره مادام حقاً، وعلى كل حال يحدد المستشرقون مصادر الإسلام في مزاعمهم على المصادر الآتية:

١. الأساس اليهودي ثم النصراني.
٢. المصدر الثاني هو الأساس الجاهلي، وإليه يرجع ما جاء في الدين الإسلامي من الاعتقاد بالجن وتقديس الكعبة، وقصص عاد وثمود، ويزعمون أن محمداً احتفظ من الوثنية القديمة الحج وشعائره، بعد أن خلع عليه طابعاً روحياً وصبغة وجدانية توحيدية، كذلك يمكن رد عقيدة القدر إلى الوثنية العربية.
٣. أخيراً يأتي المصدر الإسلامي الصرف، وهو الأفكار الجديدة التي أضافتها عبقرية محمد الدينية[6].

---

(١) الإعلام الإسلامي – خطر التدخل الإعلامي الدولي لمذكور (٩٦).
(٢) المستشرقون والقرآن لعوض (١٦٣).
(٣) سفر التكوين – إصحاح (١٥/ ٩ – ١٨).
(٤) المستشرقون والقرآن لعوض (١٧).
(٥) المزمور (٣٧: ٢٩).
(٦) منهج مونتجمري واط لإدريس (٢٣٥).

والمستشرقون صليبيون أو علمانيون يتناقلون ذلك، وهذا الكلام السابق لمستشرق ذي تعصب ديني هو (مونتيه)، والشيء نفسه يقول به مستشرق علماني هو (مونتجمري واط) فهو يصر على تصوراته لآيات القرآن من مكة والمدينة ومدى اختلاف تصورهم لكل من آيات العهدين (القديم والجديد) وهذه النزعة عند المتعصبين منهم، وعند العلمانيين يتمسكون بها لتبرير زعمهم بأن محمداً في أثناء تأليفه للدين الإسلامي كان واقعاً تحت مؤثرات شخصية حدثت له في كل من بيئي مكة والمدينة، أو لتأثير شبابه في مكة، وكهولته وشيخوخته في المدينة ومدى تأثير الشباب والصحة على الإبداع الأدبي ومنه القرآن الكريم، لأنهم لو قالوا: إن القرآن كلام الله المنزل وحياً من عند الله بواسطة ملك هو الروح الأمين جبريل لما قدروا أن يقولوا باختلاف الوحي قوة وضيفاً، ومبنى ومعنى وأسلوباً إلى آخر أكاذيبهم وافترائهم، والمتأمل لكلام مونتيه سيجده متماثلاً لكلام واط، فهو يؤكد في أماكن ومواضع كثيرة من كتبه إلى أن كثيراً مما جاء في الإسلام مأخوذ من اليهود بالدرجة الأولى ثم من النصارى، من الأفكار والسائدة في البيئة الجاهلية، وأنه صُبغ بمفاهيم النظرة العربية المعاصرة له وأشكالها الفكرية[١]، ويؤكد (جولد تسيهر) أثر اليهود في مفاهيم ابن عباس – رضي الله عنهما – التفسيرية فيقول: (ومذهب التفسير الذي أقامه الأب الأول لتفسير القرآن (ابن عباس) والمحصول الذي تعلمه من أهل الكتاب قد بينه (ليوني كاتياني) (Leone Caetani) أخيراً على وجه ممتاز)[٢]، ومن ضلالات المستشرقين حول الدين الإسلامي أنهم يعرفون الصحيح من الإسلام، ولكنهم يتركونه ويتبعون الأكاذيب والموضوعات والضعيف ويعتمدون عليها، ثم يبرزونها في دراساتهم وكتبهم ومؤلفاتهم لإيهام الناس بأن ذلك هو الإسلام، فهم يزعمون أن الإسلام أُستمد من التوراة والإنجيل، والغاية من ذلك معروفة وواضحة، وهي إبراز الإسلام وكأنه ضرب من اليهودية أو النصرانية، ولكن يهودية ونصرانية مزيفة، ويؤكدون عن استمداد القرآن الكريم من الشعر الجاهلي حتى يؤكدوا على إيجاد علاقة بين الشعر الجاهلي أو سجع الكهان[٣]، وصار هذا الأمر من المسلمات في أدبيات الاستشراق، وقد وصل الخبث والمكر بهم أن ربطوا بين الإسلام والشعر الجاهلي، لأن الشعر الجاهلي يعبر عن حياة العرب الوثنين، ومن ثم فإن الإسلام لا يعدو أن يكون تطوراً بشكل ما للوثنية الجاهلية كما عبر عنها الشعر العربي، ويؤكدون على ذلك على أن المسلمين يعتقدون بالجن وتقديس الكعبة وقصص عاد وثمود والحج إلى مكة)[٤]، ولكن ولله الحمد: قد قيض الله – تعالى – من علماء المسلمين من يرد على مزاعم المستشرقين في نحورهم، ويضرمون أيدي الناس على المصادر التي تبين تتبع علماء المسلمين منذ وقت مبكر من نزول القرآن الكريم وجمعه وتفسيره، والمصادر التي وردت في المصادر العربية المعتمدة على العلماء الأثبات الأفذاذ المحققين، وهذه المصادر البحثية قد عرفها الباحثون المعاصرون بأصالتها ودقتها التي تعتمد على الأسانيد الصحيحة، وقد تم ذلك كله من القرن الأول الهجري، أما النص القرآني نفسه فقد بدء الاهتمام به في حياة الرسول ﷺ إذ كان ﷺ يراجعه مع جبريل – عليه السلام – كما كان يستوثق من حفظ الصحابة – رضي الله

(١) منهج واط في دراسة نبوة محمد لإدريس (٣٥).

(٢) مذاهب التفسير لجولد تسيهر (٨٩).

(٣) موقف مرجليوت من الشعر العربي لهدارة (١/ ٤٠٨).

(٤) انظر المصدر السابق.

عنهم – له بسماعه منهم كما فعل مع عبد الله بن مسعود وزيد بن ثابت رضي الله عنهما، وإذا أراد الإنسان أن يتأكد من أن كل هذه الهراءات من صنع المستشرقين فليراجع الأصول اليهودية والنصرانية والإسلام، فيجد بوناً واسعاً شاسعاً بينهما وبين الإسلام.

المطلب السادس: تشويه الدين الإسلامي:

لقد ركز المستشرقون على عملية تشويه الدين الإسلامي، وقاموا بدراسات عديدة وأثاروا حولها قضايا شائكة مثل: هل القرآن كلام الله حقاً؟ هل نزل وحياً بواسطة جبريل؟ وهل جبريل حق؟ والنبوة حق؟ وهل تدخل وعي محمد أو لا وعيه في تأليفه للإسلام؟ ولذلك يؤكد المستشرقون على بشرية القرآن الكريم وأن محمداً ﷺ ألفه بلغته، وهذا الأمر يؤدي إلى نفي نبوته ﷺ وختمه للرسالات، ويصفون القرآن الكريم بالاضطراب وعدم الثبات، يقول جولد تسيهر: (لا يوجد كتاب تشريعي اعترفت به طائفة دينية اعترافاً عقدياً على أنه نص ينزل، أو موحي به يقدم نصه في أقدم عصور تداوله مثل هذه الثورة من الاضطراب وعدم الثبات كما نجد في نص القرآن)[١]، ولذلك قام المستشرقون بترجمة القرآن الكريم وقد خلت هذه الترجمة تماماً من الأمانة العلمية، وامتلأت بالتزييف والتحريف، وكثرت فيها الأخطاء، وتعددت فيها مواضع الإضافة والحذف، ولم يبق بعد هذا النقل المشبوه من الأصل القرآني أقل القليل، وقد تمت تلك الترجمة تحت الرعايا الكاملة للبطرس المبجل رئيس شماسة ديركلوني (Petter the venerable) ويقول أربري عنها: (بالرغم من امتلاء هذه الترجمة بالأكاذيب وسوء الفهم فإنها كانت الأساس الذي قامت عليه الترجمات الأوروبية المبكرة في الأسلوب الذي استخدمته)[٢]، ومع ذلك ظلت هذه الترجمة هي الأصل التي اعتمدت عليها الترجمات الأوروبية بعد ذلك ومن محاولات تشويه الدين الإسلامي عند المستشرقين تجاهلهم للمصادر الصحيحة للدراسات القرآنية، وتعمدهم الاعتماد على مصادر ضعيفة ومكذوبة، فيتجاهلون التفاسير الشرعية مثل تفسير الطبري وابن كثير والقرطبي، وبذلك يميلون إلى إثارة النزعات الدينية، والشبهات حول القرآن بالتحريف والتبديل، ومن الأمثلة على ذلك ترجمة سافاري للقرآن التي صارت من مراجع المستشرقين في ترجمة القرآن الكريم وتفسيره مع ما فيها من أخطاء كثيرة فمثلاً عندما ترجم قوله – تعالى –: ﴿ أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْأَلُواْ رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِن قَبْلُ﴾ [البقرة: ١٠٨] ترجمها بقوله: (أتسألون رسولكم ما سأله اليهود من موسى؟ فحذف عبارة (أم تريدون) وأضاف لقطة اليهود وهي غير موجودة في الآية، كما أنه حول كلمة (كما) إلى (ما) وهذا كله يخل بالمعنى)[٣]، وعندما ترجم قول الله – تعالى –: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾ [البقرة: ١٥٨] فترجم شعائر الله (بآثار الله) مع أن الطواف والسعي بالصفا والمروة شعيرة من شعائر الله التعبدية، وهذا مقصودها في الآية، أي شعيرة من شعائر الحج، ولكنه ذكر أن الصفا والمروة من الآثار التذكارية، وترجم (حج البيت) بزيارة مكة، والحج ليس مجرد الذهاب إلى مكة، وترجم (اعتمر) بزيارة بيت المقدس، وترجم

---

(١) التفسير الإسلامي لجولد تسيهر (٣٤).

(٢) تراجم القرآن الأجنبية في الميزان (٤٦).

(٣) المستشرقون والقرآن لعوض (١٢).

(فلا جناح عليه أن يطوف بهما) بقوله: (فلا يجب أن يُضحي بشيء بشرط أن يطوف بهذين الجبلين الصفا والمروة)[١]، ومن هذا التحريف المتعمد أراد هذا المستشرق ما يأتي:

١. أن المسلمين من محمد كاليهود من موسى – عليهما الصلاة والسلام – وهذا غير حق، ذلك بأن المسلمين أحبوا رسولهم وأطاعوه واتبعوه، أما اليهود فقد خالفوا نبيهم وتركوا التوحيد، وعبدوا العجل وغيره.
٢. أن محمداً قبس من التوراة وألف قراناً مقتبساً من كتاب موسى عليهما الصلاة والسلام.
٣. في النص الثاني زيادة على التشويه الظاهر في الترجمة للنص أراد أن يُظهر أن القرآن الكريم يقر بوثنية العرب فترجم (شعائر الله) بكلمة محرفة هي (الآثار) تزويراً للدلالة على الوثنية التي لا زال الإسلام عليها عن طريق الحج، وقصد بالطريقة نفسها ترجمة عبارة (فلا جناح عليه) بجملة (ألا يضحي) فيوضح أن الأمر في عبادة الحج لم يزد عمّا كان يفعله الجاهليون في حجهم.

ويزعم (مونتيه) أن هناك تعارضاً وتناقضاً وتنقيحاً في القرآن الكريم، وذلك ناتج عن عبث محمد ﷺ والعياذ بالله بالقرآن، لأنه مزيف، وعبث الصحابة – رضي الله عنهم – به فيقول عن الآيتين: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا﴾ [البقرة: ١٠٦] وقوله: ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُواْ إِنَّمَا أَنتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ١٠١]: (إن هاتين الآيتين لم تكونا موجودتين في الأصل، بل أضافها فيما بعد العلماء المسلمون الذين اخترعوا نظرية الناسخ والمنسوخ، لتسويغ ما في القرآن من آيات متضاربة)[٢]، ويزعم أيضاً مونتيه أن أسلوب القرآن الكريم متأثر بكتابات سفر التثنية وأشعيا الثاني.

ومن أهم التشنيعات التي رددها المستشرقون أن محمداً لم ير جبريل – عليه السلام – ولا حقيقة لذلك الوحي، وأن محمداً قد تعلم طريقة يستجلب بها الوحي من داخله[٣]، لا من وعيه بما يشبه التنويم الذاتي، ومع ذلك يظهر تناقضهم في تلك المسألة قمرة يقولون: إن القرآن من إنشاء محمد، ومرة أخرى من اليهودية والنصرانية، ومرة من التلمود اليهودي، ومرة أخرى أن اليهود هم المصدر الرئيسي للدين الإسلامي عن طريق الروايات الشفوية والروايات الدينية ذات الأصل التلمودي من يهود المدينة، ومن تشنيعهم ضد الدين الإسلامي زعمهم أن الدين الإسلامي انتشر بالسيف وليس بالدعوة عن طريق الحوار والإقناع!! وأن الإسلام أجبر الناس على الدخول فيه بالإكراه والإلجاء، وأن الإسلام نظم حملات الإغارة اللصوصية والنهب التي تشيع بين العرب في جاهليتهم ونقلها من الصعيد الفردي إلى الصعيد الجماعي، وأن الإسلام جعل السيف الأساس الذي تقوم عليه الدولة الإسلامية، وهم بهذا يؤكدون على أن الدولة الإسلامية قد قامت على أساس سياسي وليست على أساس ديني، وأنها تركز على سياسات التوسع والقهر والتجريد، يقول المستشرق (سيديو): (إن المسلمين أصحاب عقيدة ولكنهم توسلوا بالتعصب الأعمى وأخضعوا الناس لمبادئهم بالقهر والإرغام، وخاضوا إلى ذلك بحار الدم

(١) انظر المصدر السابق.
(٢) انظر المصدر السابق (٤٦ – ٤٧).
(٣) منهج واط في دراسة نبوة محمد (١/ ٢١١ – ٢٣٦).

والقسوة، وأنهم كانوا يحملون القرآن بإحدى يديهم والسيف باليد الأخرى)[1]، ولقد أخطأ أولئك الذين يزعمون أن الإسلام انتشر بحد السيف والقهر والاستبداد والتسلط خطأً فادحاً في زعمهم هذا، لأن الإسلام لم يكن يأتي ليصادر حرية التدين، وإنما جاء ليخير الناس بين خيارين: بين اعتناقهم الدين الحق وهو الإسلام، أو الإبقاء على ما كانوا عليه من عقائد باطلة، ومن حكمته أنه لم يترك الأمر دون توضيح عاقبة كل من الخيارين، فقد ركز على بيان عاقبة الإسلام وعاقبة ما سواه، ووضح بأن الإسلام هو الحق الذي لا سبيل بعده إلا الضلال: ﴿فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلاَّ الضَّلاَلُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ﴾ [يونس: ٣٢]، فالإسلام هو الدين الحق، وما سواه هو الباطل: ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء: ٨١] وقد جعل الإسلام بهذا قضية الإيمان منوطة بالحكمة والتعقل والتفكير والتدبر، وأطلق للعقل حرية الاختيار شريطة ألا يجنح إلى باطل، ويميل عن الحق أو يتخبط في غير هدى، فذلك من شأنه أن يفسد عليه صفاءه ونقاءه، ويشوش عليه الفطرة النقية السديدة، ويحول دون التوصل إلى قرار حاسم في جانب الحق أو اتخاذ موقف إيجابي في جانبه، يقول الله – تعالى –: ﴿ فَمَن شَاء فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاء فَلْيَكْفُرْ﴾ [الكهف: ٢٩] فهذه الآية توضح قضية الإيمان في خيارين هما: القبول أو الرفض، ويقول الله – تعالى –: ﴿ لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىَ لاَ انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٦] فهذه الآية صريحة في الدلالة على عدم الإكراه في الدين، وهي صريحة في نفيه والنهي عنه، وهذا يضمن حرية الاعتقاد، ويعطي إرادة الإنسان فرصتها في الاختيار، فالإسلام لا يستخدم أساليب القهر والاستبداد والإجبار والتسلط، وإنما يستخدم أسلوب الحوار والإقناع والمجادلة بالحسنى، تقول زيجريد هونكه: (إن ما يلهث به المستشرقون حول انتشار الإسلام ومن أنه انتشر بالسيف، وأنه دين عدواني، ويصور المسلمين على أنهم مصاصي دماء، ترى أن هذه الفكرة، محض افتراء، ونعُدها من مخالفات العصور الوسطى التي أشاهت صور الإسلام ودانت له بالعداء والبغضاء.. لقد لعب التسامح العربي دوراً حاسماً في انتشار الإسلام، وذلك على العكس تماماً من الزعم القائل بأنه قد انتشر بالنار والسيف وقد أصبح هذا الزعم من الأغاليط الجامدة ضد الإسلام، ولم تكن المؤسسة الروحية المسيحية وحدها هي التي لم تتوقع هذا التسامح، فعلى الرغم من مرور أكثر من اثنى عشر قرناً من الزمان أي منذ القرن السابع الميلادي وهو القرن الذي بدأ فيه انتشار الإسلام فإن الغرب المسيحي لا يزال يتمسك حتى اليوم في قوله وفعله، وفي صحافته وكتبه وفي الرأي العام، وفي أحدث الدعايات يتمسك بالخرافة الطفولية التي تقول: إن الجيوش العربية قد قامت بعد وفاة محمد بنشر الإسلام بالنار وبالسيف في مناطق تمتد من نهر الهند حتى المحيط الأطلسي، وفي هذا الصدد أصبحت هذه الصيغة من العبارات الشائعة على الرغم من أنها تفتقد ما يؤيدها من حقائق التاريخ وحتى الواقع)[2]، فالسلم أساس قيام الدولة الإسلامية، وهو الحالة الأصلية التي تهيئ للتعاون والتعارف وإشاعة الخير بين الناس عامة، فلذا يجب على العلماء والمثقفين تناول هذه المؤلفات المكذوبة وتفنيدها وبيان عوارها بالأدلة الصحيحة.

---

(١) تاريخ العرب العام سيديو ل . م (١٣٣).

(٢) حضارة العرب لجوستاف لوبون (١١٢ – ١١٣)، الإسلام في مرآة الفكر الغربي لزقزوق (١٠٦).

المطلب السابع: تنصير(١) المسلمين:

إن التنصير حركة دينية سياسية استعمارية بدأت في الظهور إثر فشل الحروب الصليبية، بغية نشر النصرانية بين الأمم المختلفة في دول العالم الثالث وبين المسلمين بخاصة، بهدف إحكام السيطرة على هذه الشعوب، ويُطلق أيضاً على النشاط الذي يمارسه أفراد وهيئات ومنظمات أجنبية في الأراضي الإسلامية ضد العقيدة والمجتمع في الإسلام، ولذلك فإن مفهوم التنصير في البيئة الإسلامية هو ما يؤدي إلى إخراج المسلمين من دينهم وليس بالضرورة إدخالهم في النصرانية، ولذلك يقول المنصر (السموأل صموئيل زويمر): (ولكن مهمة التبشير التي ندبتكم دول المسيحية للقيام بها في البلاد المحمدية ليست هي إدخال المسلمين في المسيحية، فإن هذا هداية لهم وتكريماً، وإنما مهنتكم أن تخرجوا المسلم من الإسلام ليصبح مخلوقاً لا صلة له بالله، وبالتالي لا صلة تربطه بالأخلاق التي تعتمد عليها الأمم في حياتها، ولذلك تكونون أنتم بعملكم هذا طليعة الفتح الاستعماري في الممالك الإسلامية وهذا ما قمتم به خلال الأعوام المائة السالفة خير قيام، وهذا ما أهنئكم وتهنئكم دول المسيحية والمسيحيون جميعاً)[٢]، وفي المؤتمر التنصيري الذي عُقد بجبل الزيتون في القدس في فلسطين سنة (١٣٤٦هـ – ١٩٢٧م)، وحضرته أربعون دولة من الدول الغربية الصليبية، قام أحد أقطاب هذا المؤتمر قائلاً: (أتظنون أن غرض التنصير سياسته إزاء الإسلام هو إخراج المسلمين من دينهم ليكونوا نصارى؟ إن كنتم تظنون هذا فقد جهلتم التنصير ومراميه، لقد برهن التاريخ من أبعد الأزمنة على أن المسلم لا يمكن أن يكون نصرانياً مطلقاً، والتجارب دلتنا ودلت رجال السياسة النصرانية على استحالة ذلك، ولكن الغاية التي يرمي إليها هي إخراج المسلم من الإسلام فقط، ليكون مضطرباً في دينه، وعندها لا تكون له عقيدة يدين بها ويسترشد بهديها وعندها يكون المسلم ليس له من الإسلام إلا اسم أحمد أو مصطفى، أما الهداية فينبغي البحث عنها في مكان آخر)[٣][٤]، ولقد توسع التنصير أثر الانهزامات التي مُني بها الصليبيون طوال قرنين من الزمان (١٠٩٩ – ١٢٥٤م) أنفقوها في محاولة الاستيلاء على بيت المقدس وانتزاعه من أيدي المسلمين، وعندما خابت أوروبا في الحروب الصليبية الأولى عن طريق الحرب، أرادات أن تثير على المسلمين حرباً صليبية جديدة عن طريق التنصير، وقد جاء هذا التحول بناءً على وصية القديس (لويس التاسع) ملك فرنسا وقائد الحملة الصليبية السابقة التي انتهت بالفشل ووقوع لويس نفسه في الأسر والسجن، وأول من تولى التنصير هو الراهب

---

(١) يجب استخدام كلمة التنصير بدلاً من التبشير، حيث إن الغرب يستخدمون كلمة التبشير من أجل التضليل، فالتبشير فكرة خبيثة، وبذرة فاسدة ملونة، ودعوة ماكرة خادعة تقوم على أسس هدامة ماحقه للدين والعقيدة، ومدمرة للأخلاق والفضيلة، ظاهرها الرحمة، وباطنها العذاب والقسوة، وغرست بذورها زُمرة ملحدة موتوره، ونفذت أدوارها ومخططاتها أيد شريرة، قلوبهم ملأى بالحقد والضغينة، وقد تسترت بأقنعة الإحسان، وانتحلت صفات البر والفضيلة، وزعمت لنفسها حب الخير، ومحاربة الجريمة، وهي في الحقيقة داعية سوء، ومن أسوء معاول الهدم اللئيمة، ويظن بعض الناس أن المبشرين يأتون لنشر الدين على أنه هدفهم الأسمى، والحق أن نشر الدين أمر ثانوي جداً في جميع الحركات التبشيرية، وقد نجد أشخاصاً قليلين يمولون حملات تبشيرية على الشرق، ثم أفراداً قليلين أيضاً يأتون في هذه الحملات لينشروا الدين حباً في نشر الدين، واعتقاداً منهم بأنهم يقومون بعمل سام، مع أن الكثرة المطلقة من الذين يمولون تلك الحملات من الذين يأتون فيها لا صلة لهم بين أهدافهم الحقيقية وبين الذين يزعمون أنهم جاءوا لنشره، إننا إذا تأملنا العالم الغربي وجدناه عالماً ملحداً لا يؤمن بدين، وعالماً مادياً لا يعرف للروح معنى، إن أمريكا والدول الأوروبية قد غطت نصف الأرض بمبشرين يزعمون أنهم يدعون إلى حياة روحية، وسلام ديني!! إن الكثيرين من هؤلاء المبشرين في الأرض لم يأتوا في واقع الأمر للتبشير، فمنهم من يحب الأسفار والمغامرات، ومنهم من يطمع إلى السيطرة الشخصية وغيرها، حتى أن بعضهم استغل جمعيات التبشير لمصالحه الشخصية لإشباع أطماعه، ومنهم المكرة والتجار الذين لا صلة لهم بالتبشير، وأصحاب الدعوات الذاتية الذين لا يتحلون بالأخلاق الحميدة والمؤرخون عادة لا ينكرون أن التبشير قد اتخذه الكثيرون ألة للتجارة، والسياسة، وأن المبشر لم يستطع التحرك من غاية وسيطرة حكومية. انظر موسوعة الطيبات للعلوم والمعارف (١٩٠١ – ١٩٠٢).

(٢) الموسوعة الميسرة (٢/ ٦٦٥)، الغارة التنصيرية على أصالة القرآن الكريم لعبد المحسن (٧ – ٨).

(٣) جذور البلاء لعبد الله التل (٢٧٥)، ما يجب أن يعرفه المسلم من حقائق النصرانية للجبهان (١٢٧)، العقائد الوثنية في الديانة النصرانية (٢٨)، التنصير مفهومة وأهدافه للنملة (٥ – ٣٥).

(٤) بذلك يتضح أن التنصير لا يهدف لإدخال الآخرين في الدين النصراني، وإنما إخراجهم من دينهم وجعلهم بلا دين، وهم يقرون بأنفسهم على ذلك فشهد شاهد من أهله.

(ريموندلل) الإسباني عام (١٢٣٥ — ١٣١٥م)، وفعلاً نجحت مساعيه، فقد أمر يعقوب الأول ملك ميورقة بإنشاء كلية الثالوث المقدس لإعداد المبشرين، وقام (ريموندلل) نفسه بإعدادهم فيها، وبعد أن ثار الغرب ثورة الحرية ضد الكنيسة، فتآزرت القوى العلمانية مع العصابات المتعددة في عملية التنصير الضخمة التي شحن الغرب إمكانياته لإنجاحها، وبات من الواضح تحول الغرب من التنصير الفردي إلى التنصير الجماعي، لكون التنصير الجماعي يعني نقل أمة من الناس أو مدينة كاملة من الإسلام، والوسيلة لتحقيق ذلك هو استغلال الأزمات والكوارث[١]، وذلك بافتعالهم هذه الأمور، وهذا ما نص عليه مؤتمر كولورادو التنصيري، إذ جاء في إحدى فقراته: (لابد من وجود أزمات معينة ومشكلات وعوامل إعداد وتهيئة تدفع الناس أفراداً وجماعات خارج حالة التوازن، في غياب مثل هذه الأوضاع المهيئة فلن تكون هناك تحولات كبيرة إلى النصرانية) ولن يتوقف النصارى عند هذا الحد، إذ صرحوا بلزوم التدخل في شؤون الدول التي فيها أقليات نصرانية بزعم حمايتها من اضطهاد المسلمين مع أن هذه الأقليات تُحظى في بلاد المسلمين بما لا يحظى به المسلمون في الرعاية والتكريم، بل والذلة لهم وتنفيذ مطالبهم، وإظهار شعائر شركهم تحت قيادة الحكومات العلمانية، ولذلك يسعى المخطط التنصيري، إلى تحقيق مجموعة من الأهداف في البلاد الإسلامية، فالمنصرون يعتبرون الإسلام هو الدين الوحيد الخطر عليهم لأنه كما يسمونه دين متحرك زاحف يمتد بنفسه وبلا أية قوة مساعدة، ومن أهدافهم الحيلولة دون دخول النصارى في الإسلام، فالمنصرون يشنون هجومهم على الإسلام خوفاً على قومهم من معرفته أكثر من رغبتهم في تنصير المسلمين، والحيولة دون دخول الأمم الأخرى — غير النصرانية — في الإسلام والوقوف أمام انتشار الإسلام بإحلال النصرانية مكانه، وإخراج المسلمين من الإسلام، ذلك لأنه يسعى إلى هدم الإسلام في قلوب المسلمين، وبذر الاضطراب والشك في المثل والمبادئ الإسلامية، لمن أصروا على التمسك بالإسلام، ولا شك أن إرساليات التبشير من بروتستانتية وكاثوليكية تعجز عن أن تزحزح العقيدة الإسلامية من نفوس منتحليها، ولا يتم لها ذلك إلا ببث الأفكار التي تتسرب مع اللغات الأوروبية، بنشرها اللغات الإنجليزية والألمانية والهولندية والفرنسية، فتمهد السبل لتقدم إسلامي مادي، والإيحاء بأن المبادئ والمثل والتعاليم النصرانية أفضل من أي مثل ومبادئ أخرى والإيحاء بأن تقدم الغربيين الذين وصلوا إليه إنما جاء بفضل تمسكهم بالنصرانية، وتعميق فكرة سيطرة الرجل الغربي الأبيض على بقية الأجناس البشرية الأخرى وترسيخ مفهوم الفوقية والدونية، ومن ثم تخضع الشعوب الإسلامية للرجل الأبيض ومن ثم تهيئة الأجواء لقبول ما يُسمى بالعولمة أو الكوكبة، وما يمنع هذا النظام من توحيد الأيدولوجية[٢]

(١) المستشرقون للعقيق (٢/ ٥٦٩).

(٢)الأيدلوجيا: كانت بداية أمرها تعني العلم الذي يدرس الأفكار، أي: علم الأفكار، فيُعرَّف قاموس وبيستر الأيديولوجية بأنها: دراسة لطبيعة ومصدر الأفكار، ثم وقع للمصطلح تحولات لتصبح الأيدلوجيا مجموعة الأفكار التي تشكل أساس نظام سياسي واقتصادي واجتماعي معين، وفي خلاصة قدمها الدكتور مصطفى عشوي عن التنظير الأيدلوجي بأنه تنظير يتأثر بما يأتي:

١. بالنسق الفكري المهمين على مجتمع ما والذي تحميه طبقة معنية أو نظام معين قائم.

٢. مجموعة من التصورات المسبقة والأحكام التقييمية التي تكوِّن اتجاهات ومواقف سلوكية قد تخفي دوافع لا شعورية لحماية الذات والجماعة التي ينتمي إليها الفرد.

والأيدلوجيا: مصطلح قدحي يطلق على التيارات الفكرية المعاصرة والعلمانية، ويوازيها من جهة في الاصطلاح الإسلامي الفرقة والبدعة والأهواء، ولكن لأنه غلب على المعاصرة أنها لا دينية فقد أُخذ لها هذا المصطلح، بحيث يفرق بين الفرقة التي تدور حول موضوعات دينية وبين الأيدلوجيا التي تدور حول موضوعات فكرية منفصلة عن الدين وربما معادية له، وهذا المعنى هو الذي ينادي به العصرانيون، والأيدلوجيا في الماركسية عبارة عن وعي زائف هو انعكاس للواقع الاجتماعي، ويشير المصطلح أيضاً إلى كل مذهب تستلهمه الحكومات أو الأحزاب وتستمد منه آراءها ومواقفها، ويفضل الدكتور طه عبد الرحمن استعمال الفكرانية قياساً على العقلانية لأن الأيدلوجيا مصطلح واسع قد يحوي الصحيح وغيره. انظر العلوم الاجتماعية بين التنظير العلمي والتنظير الأيدلوجي لقسوي (٢٤٤)، معجم المصطلحات والشواهد (٧١)، الموسوعة الفلسفية العربية (١٥٨)، قاموس المصطلحات (٧٧)، تجديد المنهج في تقويم التراث (٢١ — ٢٥)، مفاتيح العلوم الإنسانية لدكتور خليل (٣١٧).

السياسية العالمية، وإزالة الحواجز الثقافية وتذويب الفروق بين المجتمعات الإنسانية المختلفة، والدعوة إلى ما يشبه الدين العالمي، وترسيخ فكرة قيام دولة ووطن قومي لليهود في أي مكان أولاً ثم في فلسطين المحتلة بعدئذ، ولقد حاول الغرب تشجيع التنصير بعدد من الوسائل من أهمها: المؤتمرات وإنشاء الجمعيات المختلفة في أصقاع العالم الإسلامي، واهتمامه بالإعلام والسيطرة مع بث الأفكار التي يريد أن ينشرها، والدعاية للمسيح – عليه الصلاة والسلام – وأن دعوته دعوة عالمية، ونشر الدعايات لكتابهم المقدس، ولدينهم، والسيطرة على التعلم والتعليم والمعاهد والجامعات والخدمات الاجتماعية المجانية، والاهتمام بالمرض والمرضى وبالطب عامة، واستغلال حاجة المسلمين إلى الأيدي العاملة، واستغلال المرأة والتحكم في الصناعات والتجارة، وتشجيع تحديد النسل ومحاصرة الإسلام بكل الطرق والوسائل، وتأليب الحكام على المصلحين والسخرية بعلماء المسلمين، وتحبيب الأطفال إلى الصليب وأعياد الميلاد وغيرها، ومن الدول التي كان التنصير فيه على أشده: السنغال، وإندونيسيا، وتايلاند، والسودان، والبحرين، والكويت، وعُمان، وقطر، والإمارات، وعندما نجد الأعداد الغفيرة التي قام بها المنصرون بتنصيرهم في تلك الدول يصل إلى حد الدهشة والاستغراب من المخطط النصراني الماكر في طريقه عن طريق الاستشراق والمستشرقين.

المطلب الثامن: إضعاف الأخوة الإسلامية:

من محاسن هذا الدين القيم، ومن مكارم هذا الإسلام العظيم أن يوحد الناس، ويؤلف بين قلوبهم تحت راية واحدة هي راية العبودية لله – تعالى – وتوحيده وإخلاص الدين له، يقول الله – تعالى –: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ٢١]، والإسلام ينبذ كل صور العنصرية، ويرفض كل فروق التعصب في اللون أو الدم، أو الجنس أو اللغة أو الأرض، أو الجاه أو المال، والإسلام يُحرِّم الطبقية بين العباد، والتمييز بين الخلق، والتعالي على الناس، ويسقط كل الموازين الظالمة، والمعايير الجائرة، ويبقى ميزاناً واحداً ومعياراً صحيحاً يتسابق فيه جميع الخلق، ويتنافس فيه كل المؤمنين، ألا وهو ميزان التقوى، يقول الله – تعالى –: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣]، ويقرر أخوة الإيمان يقول الله – تعالى –: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الحجرات: ١٠] فأخوة التوحيد تفوق أخوة النسب إذا فارقت الإيمان، وتفوق لحمة الدم إذا تلبست بالشرك، وتفوق صلة القربى إذا أصرت على الكفر، يقول الله – تعالى –: ﴿لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ [المجادلة: ٢٢] وتوجب هذه الأخوة المودة والمحبة في الدين وتعلو على روابط الدنيا ومحابها، والحرص على علائقها، يقول الرسول ﷺ : (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخية ما يحبه لنفسه)[١]، ويقول: (ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما وأن يحب المرء لا يحبه إلا الله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يُقذف في النار)[٢]، وأوجب الإسلام لهذه الأخوة الإيمانية حقوقاً كريمة، وأحكاماً

(١) البخاري كتاب الإيمان – باب من الإيمان لأخيه ما يحب لنفسه (١/ ٤٨).

(٢) البخاري كتاب الإيمان – باب حلاوة الإيمان (١/ ١٥١).

شرعية عظيمة تزيد الإيمان، وتقوي الرباط، وتمتن المحبة، وتجلب الود، ويرشدنا الرسول ﷺ في بيان جميل، وتفصيل دقيق، وإيضاح رائع إلى أصول هذه الآداب وحُسن رعايتها، وإلى قواعد هذه الحقوق وتفاصيلها فيقول: (لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا ولا يبع بعضكم على بيع بعض وكونوا عباد الله إخواناً، المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره التقوى ها هنا ويشير إلى صدره ثلاث مرات بحسب أمرئ من الشر أن يُحقر أخاه المسلم، كلُ المسلم على المسلم حرام دمه وماله عرضه)(١)، ولكل هذه المبادئ السامية والقواعد النبيلة سعى المستشرقون وبذلوا كل غال ورخيص للنيل من المبادئ السامية والقواعد النبيلة للقضاء على الأخوة الإسلامية، والكيد للمسلمين، وتحبيبهم للنظام الجديد – هيمنة أمريكا النصرانية – وأنه النظام الذي سيؤلف بين القلوب، وتصبح الشعوب أخوة، وقاموا بعدد من الوسائل والأساليب للقضاء على الأخوة الإيمانية وإحلال الإنسانية(٢) محلها وذلك عن طريق تقارب الأديان، وإذكاء النعرات الجاهلية من عصبيات وخلافات مذهبية وتضخيم ذلك ثم إيجاد الحلول لها على طريقتهم، وعن طريق تنفير الناس من علماء المسلمين ورميهم بشتى التهم الباطلة، وعن طريق دعوى رعاية حقوق الإنسان، واتفق المستشرقون كلهم على حرب الإسلام والأخوة الإيمانية بكل الطرق رغم الاختلافات فيما بينهم، ويجب أن نعرف أن للمستشرقين أساليبهم الماكرة وفنونهم العديدة في حروبهم ضد الأخوة الإيمانية بعد أن تعمق أولئك في دراسة العالم الإسلامي ومعرفة علمائه الذين يشكلون في نظر الغرب الخطر الحقيقي على نفوذ حضاراتهم وهيمنة أفكارهم، فزرعوا بذور الفتن بين العلماء الربانيين وبين شباب الأمة، بأن صَّور العلماء بأقبح الصور، وأشنع الأفعال، ووصفوا العلماء الصالحين بالإرهابين والأصوليين والمتطرفين والمتشددين والمتزمتين والرجعيين، حتى تشمئز الأمة منهم، ومن هنا اشتد تكالبهم واشتدت وطأتهم على كل شيء يرون فيه مظهراً لعودة الإسلام والأخوة الإيمانية إلى قلوب ابنائه، فحاربوا العلماء والمصلحين بكل الطرق لكونهم ينشرون الإسلام ويشيعون العدالة والعيش الرغيد، ويساعدون على بناء كرامة الإنسان التي منحه الله – تعالى – إياها وأكدها بقوله: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾ [الإسراء: ٧٠]، وبذلك انحدر المسلمون إلى حالة الضعف والتردي في فترة الجمود والركود، فبدأت قوة الزمن الأوروبي لتغريب العالم الإسلامي تشتد بمختلف الاتجاهات عسكرياً وثقافياً واجتماعياً واقتصادياً وسياسياً في مقابل ذلك الضعف العام في الشرق الإسلامي والانحطاط القائم في كل الميادين، فساد في الحكم والإدارة والسياسة، وفي التوجيه والتربية والتشريع، فكان لهذا التفكك المجتمعي أثره الإيجابي بالنسبة لجحافل الغرب، وبذلك يتضح أن كل الشعارات التي نادى بها المستشرقون شعارات زائفة، فإن الكلام شيء والشعارات شيء، والفعل والواقع شيء آخر، وما نراه اليوم من استبداد الدول الكافرة القوية بالناس الضعفاء والشعوب المستضعفين لهو أقوى دليل على هذا، فإن أفعالهم في فلسطين وتآمر الشرق والغرب على إذلال المسلمين خصوصاً في أفغانستان والبوسنة والهرسك، والشيشان، وفي كشمير، والفلبين، بل وفي افتعال العداء الشرس بين الشعوب الإسلامية، وضرب بعضهم ببعض، وبث النفرة والبغضاء لهو دليل

---

(١) البخاري كتاب النكاح – باب لا يخطب على خطبة أخيه حتى ينكح أو يدع (٩/ ١٧١)، ومسلم كتاب البر والصلة - باب تحريم الظن والتجسس والتنافس رقم (٢٥٦٣).

(٢) الإنسانية أو العالمية كما يدعونها أحياناً : دعوى براقة تظهر بين الحين والحين ثم تختفي لتعود من جديد تنادي بشعارات منها : يا أخي كن إنساني النزعة، وجه قلبك ومشاعرك للإنسانية جمعاء، دع الدين جانباً فهو أمر شخصي وعلاقة خاصة بين العبد والرب محلها القلب لكن لا تجعلها تشكل مشاعرك وسلوكك نحو الآخرين الذين يخالفونك في الدين، فإنه لا ينبغي للدين أن يفرق بين البشر، بين الأخوة في الإنسانية، تعال نصنع الخير لكل البشر غير ناظرين إلى جنس أو لون أو أرض أو دين. انظر مذاهب فكريه معاصرة (٥٨٩)، معجم المناهي اللفظية (٢٧٠-٢٧١).

واضح، وقد أراد المستشرقون نزع روح الأخوة الإيمانية بين الأفراد والشعوب حتى يفقد المسلمون ثقتهم بعضهم ببعض، وبذلك يسهل إذلالهم وقهرهم، وذلك عن طريق دب الصراعات فيما بين الشعوب الإسلامية، ففي كل يوم تُقدم مئات القرابين من دمائهم، وأساطين الكفر والإلحاد على مرأى ومسمع العالم كله دون رحمة[١]، فكل الدول الإسلامية تعاني طغيان الحضارة الغربية وأن معظم الدول الإسلامية تُصهر في تؤدة وأناة وإلحاح في بوتقة الحضارة الغربية الجارفة، ولذا نجد أن أكثر الحروب إنما تُقام في بلدان المسلمين، وأولئك الطغاة يمدون كلاً من المتخاصمين بالسلاح بعد أن يجربوه على رؤوسهم حتى أصبحت بلدان المسلمين محلاً لتجارب الأسلحة على رؤوس المسلمين ومصدره إثراء لأصحاب تلك الأسلحة، وبذلك خلا الجو للمستشرقين فقاموا في إفساد الأخوة الإسلامية كما يشاءون بكامل ثقلهم السياسي والاجتماعي، فنهبوا خيرات البلدان الإسلامية، وأفقروا أهلها، وجعلوا الثقافة الغربية الآسنة هي منبع الفكر الثقافي في البلاد الإسلامية، وجَّد المستشرقون بكامل الدعم لتثبيت هذا الاتجاه وتعميقه في نفوس المغلوبين أهل البلاد الإسلامية كما قوىَ هؤلاء شتى الانحرافات التي تخدمهم في إزالة الإسلام – حسب ما يتمنون- فقَّووا الأفكار العقلانية والماركسية والعلمانية بدلاً من الإسلام ومبادئه وقواعده وأهدابه، وأضافوا إلى ذلك نشر الخلاعة والمجون، فأصيب المسلمون بهزة عنيفة وضعف شديد وتفكك مستمر، وبرز في العالم الإسلام رجال كان لهم نشاط قوي في تأييد الأفكار الغربية المعارضة للإسلام وانتشاره، كما نتج أيضاً عن تلك الأفكار الغربية الشريرة ما يسمونه بالنظام الجديد للعالم الذي يعني السيطرة الكاملة للدول الغربية على مصالح العالم كله من الشئون العسكرية إلى وضع المقررات الدراسية لطلاب المدارس الإسلامية، ومطاردة الإسلام وعلمائه والقضاء عليهم لأنهم أكبر عائق في سبيل مد الحضارة الغربية، وإرغام المسلمين على ترك دينهم والذوبان في الحياة الغربية الكافرة طوعاً أو كرهاً، وبذلك يتضح أن الاستشراق يسعى بكل ما أُتي من قوة للقضاء على الإسلام والمسلمين، وبذلك يتضح أن الدراسات الاستشراقية معظمها قائمة على العداوة والكراهية للدين الإسلامي، وإن وُجد القلة القليلة من تلك الدراسات الاستشراقية المبنية على الحوار، تجدها مليئة بالسم الزعاف في الباطن، وإظهار الحوار بخلاف ذلك.

(١) المسلم الجديد والمنهج الشرعي الرشيد للطريم (٢٥ – ٣٥).

الخاتمة

إن من أهم النتائج التي توصلت إليها ما يأتي:

١. الاستشراق نوع من الإسقاط الغربي على الشرق وإرادة حكم الغرب للشرق.

٢. يُرجِع كثير من المؤرخين الاستشراق إلى بداية قيام الدولة الأموية في القرن الثاني الهجري بواسطة يوحنا الدمشقي.

٣. ظهر مصطلح الاستشراق في أوروبا في إنجلترا عام (١٧٧٩م).

٤. من ادعاءات المستشرقين حول القرآن الكريم: أن أفكار القرآن مقتبسة من اليهودية والنصرانية، وأنه مليء بالأخطاء العلمية المعاصرة، وأن فيه العديد من العبارات والمصطلحات الغريبة والمفردات الأجنبية، وأنه من تأليف محمد ﷺ وأن كلمة الوحي لا تعني إلقاء النص من الله – تعالى – وإنما المراد بها التكلم الذهني.

٥. قام عدد كبير من المستشرقين بترجمة القرآن الكريم فحرفوا وبدلوا وزادوا وغيّروا فيه حتى يصلوا إلى زعمهم بأن القرآن الكريم ليس وحياً من عند الله تعالى.

٦. أن المستشرقين وإن اختلفت أجناسهم ولغاتهم فإنهم يجتمعون في أمر واحد هو العداء للإسلام والمسلمين، وإن تذرعوا بأنهم حاملون للمنهج العلمي.

٧. زعم المستشرقون أن الأحاديث التي كُتبت في كتب السنة مأخوذة من التلمود، واتهموا الرسول ﷺ بالزيف وعدم التمييز، وأن وضع الحديث والسنة بدأ في جيل الصحابة المبكر، وأن أصول الإسلام والسنة النبوية أُخذت جميعها من اليهودية والنصرانية والوثنية العربية، وأن الشافعي هو الذي استحدث حجية السنة، ويطعنون في أقوى أسانيد الأحاديث النبوية، ويزعمون أن الرسول ﷺ لم يترك سوى القرآن.

٨. شَّرف الله – تعالى – اللغة العربية بإنزال القرآن الكريم فتبقى خالدة كخلود القرآن الكريم.

٩. حاول المستشرقون بكل ما أُوتوا من الحيل والخداع للتنقيص من شأن اللغة العربية.

١٠. يهتم المستشرقون باللغة العربية ويقبلون على تعلمها بنهم شديد لغرض التصدي للإسلام وأهله وللاستعلاء على العرب والمسلمين حين يتم احتلالهم لهم.

١١. تدخل المستشرقون في المدارس والمعاهد والجامعات ففرضوا تعلم اللغات الأجنبية وحاربوا اللغة العربية الفصحى، واهتموا باللغات واللهجات العامية لغرض القضاء على اللغة الأم.

١٢. وصل من مكر المستشرقين أنهم ترجموا وفسروا القرآن الكريم باللغة العامية لإبعاد المسلمين عن لغتهم العربية.

١٣. زعم المستشرقون أن اللغات الأوروبية تساير استيعاب الجديد بخلاف اللغة العربية.

١٤. زعم المستشرقون أن الدين الإسلامي قبس من التوراة والإنجيل وبعض الموروثات الثقافية العربية.

١٥. يزعم المستشرقون أن محمداً في أثناء تأليفه للدين الإسلامي كان واقعاً تحت مؤثرات شخصية.

١٦. يعتمد المستشرقون على الأكاذيب والموضوعات والضعيف ثم يبرزونها في دراساتهم وكتبهم ومؤلفاتهم لإيهام الناس بأن ذلك هو الإسلام.

١٧. اهتمام عدد من المستشرقين لإثبات وجود شعر في القرآن الكريم.

١٨. إن غرض التنصير الأساس هو إخراج المسلمين من دينهم وتركهم بلا دين.

١٩. لقد ازداد نشاط التنصير بعد الحروب الصليبية للقضاء على الإسلام والمسلمين.

٢٠. يقوم المستشرقون بترسيخ مفهوم الفوقية والدونية، ومن ثم تخضع الشعوب الإسلامية للرجل الأبيض (الغربي).

٢١. يسعى المستشرقون ببذل كل غال ونفيس في سبيل القضاء على الأخوة الإيمانية بين المسلمين.

٢٢. يصف المستشرقون العلماء الربانيين بالإرهابيين والأصوليين والمتطرفين والمتشددين والمتزمتين والرجعيين حتى تشمئز الأمة الإسلامية منهم، فأدى ذلك إلى فساد الحكم والإدارة.

٢٣. يسعى المستشرقون لدب الفرقة والعنصرية والنعرة والطائفية بين الشعوب الإسلامية للقضاء عليها ومن ثم استحلالها.

٢٤. أن الاستشراق أصبح علماً له مدارسه المتعددة، ومناهجه المختلفة والتي تسعى جميعها إلى محاولة اختراق الدين الإسلامي.

٢٥. اتجه المستشرقون إلى دراسة أحوال بلاد المسلمين من عقيدة، وعادات، وأخلاق، وثروات، ليتعرفوا على مواطن القوة فيها فيضعفونها، وإلى مواطن الضعف فيغتمنوها.

التوصيات

١. إبراز كتب التاريخ والسيرة النبوية وتنقيحها حتى تظهر بالصورة النقية الصحيحة ومن ثم نشرها في أصقاع الأرض.

٢. اهتمام العلماء والباحثين والأكاديميين بكتب المستشرقين وتنقيحها وإبراز ما فيها من أكاذيب وافتراءات وفق المنهج العلمي الصحيح.

٣. على العلماء والمصلحين والمثقفين أن يوسعوا من ثقافتهم المصدرية وصولاً إلى وضع مخطط شامل علمي وهادف عن المظهر العالمي للسيرة النبوية ومصداقية الرسول ﷺ .

٤. الاهتمام بمفردات التعليم في الدول الإسلامية والاهتمام بالقرآن والسنة، مع توضيح الشبهات التي تثار ضدهما وتفنيدها.

٥. إلقاء المحاضرات في الجامعات والجمعيات العلمية والمساجد والنوادي لبيان خطر الاستشراق وعدائه للإسلام وللمسلمين.

المصادر والمراجع

١. الابتعاث ومخاطره – محمد لطفي الصباغ – توزيع إدارة البحوث العلمية – المملكة العربية السعودية.

٢. أجنحة المكر الثلاث – عبد الرحمن بن حبنكة الميداني – دار القلم – دمشق.

٣. الاختراق اليهودي للمجتمعات الإسلامية – د: فرج الله عبد الباري و د: فرج عبد الله عبد الباري – ط١ – ٢٠٠٦م.

٤. آراء المستشرقين حول القرآن الكريم وتفسيره – عمر رضوان – دار طيبة – الرياض – ١٩٩٢م.

٥. الاستشراق – أ.د: عبد العظيم الديب – دار دون للنشر والتوزيع.

٦. الاستشراق الذرائع – النشأة – المحتوى – د: السيد أحمد فرج – دار طويق للنشر والتوزيع.

٧. الاستشراق أهدافه ووسائله – محمد فتح الزيادي – دار قتيبة للطباعة والنشر – ط ٢ – ٢٠٠٢م.

٨. الاستشراق بين دعاته ومعارضيه – مجموعة من المستشرقين – ترجمة وإعداد: هاشم صالح – دار الساقي – بيروت.

٩. الاستشراق في التاريخ – الإشكاليات – الدوافع – التوجيهات – الاهتمامات – د: عبد الجبار ناجي – المركز الأكاديمي للأبحاث.

١٠. الاستشراق والمستشرقون – مصطفى السباعي – المكتب الإسلامي – ط ٢ – ١٩٧٢م.

١١. إضاءات على الاستشراق الروسي – د: فاطمة عبد الفتاح – منشورات اتحاد الكتاب العربي – دمشق – ٢٠٠٠م.

١٢. أفاعي العلمانية وأحاديث الإفك – سامي نجيب محمد – دار التوزيع والنشر الإسلامية – ط١.

١٣. انبعاث الإسلام في الأندلس – د: علي المنتصر الكتاني – دار الكتب العلمية – ط١.

١٤. انتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث – مالك بن نبي – دار الإرشاد للطباعة والنشر – بيروت.

١٥. أوروبا والإسلام صدام الثقافة والحداثة – هشام جعيط – دار الطليعة – بيروت – ١٩٩٥م.

١٦. التبشير في إفريقيا – عبد الجليل ريقا – مراجعة د: يوسف فضل – أ د: مبارك قسم الله – أحمد محمد شاموك – إعداد: ناجي عبد النبي عبد القادر – ط١ – ١٩٨٣م.

١٧. تجديد الفكر الإسلامي – جمال سلطان – دار الوطن للنشر – الرياض – ط١ – ١٤١٢هـ.

١٨. تجديد المنهج في تقويم التراث – د: طه عبد الرحمن – المركز الثقافي العربي – الدار البيضاء – بيروت – ط٢.

١٩. تراثنا بين ماضي وحاضر – عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ) – دار المعارف – القاهرة – ط ٢ – ١٩٩٨م.

٢٠. تراجم القرآن الأجنبية في الميزان – د: محمد أحمد إبراهيم أبو فراح – بحث مقدم في مجلة كلية أصول الدين – جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية – العدد (٤) – ١٤٠٢هـ – ١٤٠٣هـ.

٢١. تفسير روح المعاني – أبو الثناء محمود الألوسي – دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٢٢. تهذيب اللغة – أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري – تحقيق: عبد السلام هارون – دار الصادق.

٢٣. التيارات الوافدة وموقف الإسلام منها – أ د: محمود محمد مزروعة – دار اليسر – ط١ – ١٤٣٦هـ – ٢٠١٥م.
٢٤. حقيقة اليهود – فؤاد بن سيد عبد الرحمن الرفاعي – دار صلاح الدين.
٢٥. دراسات في النصرانية – أ.د: محمود محمد مزروعة – دار اليسر – ط١ – ١٤٣٦هـ – ٢٠١٥م.
٢٦. الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها – د: أحمد أحمد غلوش – دار الكتاب المصري – دار الكتاب اللبناني – القاهرة – بيروت – ١٩٨٧م.
٢٧. ردود على شبهات المستشرقين – يحيى مراد – دار الكتب العلمية – بيروت.
٢٨. صراع الحضارات في المفهوم الإسلامي – د: عبد العزيز بن عثمان التويجري – منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والثقافة – إيسسيكو – ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م.
٢٩. العصرانية في حياتنا الاجتماعية – د: عبد الرحمن بن زيد الزنيدي – دار المسلم – الرياض – ط١ – ١٤١٥هـ – ١٩٩٤م.
٣٠. العلمانيون والإسلام – محمد قطب – دار الشروق – القاهرة – ط١ – ١٤١٤هـ – ١٩٩٤م.
٣١. الغفران بين الإسلام والمسيحية – إبراهيم خليل أحمد – دار المنار – ط١ – ١٤٠٩هـ – ١٩٨٩م.
٣٢. الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي – محمد البهي – دار وهبة – القاهرة – ط ١١ – ١٩٨٥م.
٣٣. الفكر العربي المعاصر – أنور الجندي – مطبعة الرسالة – القاهرة.
٣٤. القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والقرآن – د: موريس بوكاي – جمعية الدعوة الإسلامية – طرابلس – الجماهرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية.
٣٥. قضايا المنهجية في العلوم الإسلامية والاجتماعية – إعداد مجموعة من المفكرين – تحرير د: نصر محمد عارف – المعهد العالي للفكر الإسلامي – القاهرة – ط١ – ١٤١٧هـ – ١٩٩٦م.
٣٦. كواشف زيوف في المذاهب الفكرية المعاصرة – عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني – دار القلم – دمشق – ١٤١٢هـ – ١٩٩١م.
٣٧. لسان العرب – أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور المصري – دار صادر – بيروت.
٣٨. ماذا خسر العالم الإسلامي بانحطاط المسلمين – أبو الحسن علي الحسني الندوي – دار القلم – قطر – ١٤٣٣هـ – ٢٠١٢م.
٣٩. المدخل إلى الشريعة والفقه الإسلامي – أ.د: عمر بن سليمان الأشقر – الكويت.
٤٠. المذاهب الفكرية المعاصرة ودورها في المجتمعات وموقف المسلم منها – د: غالب بن علي عواجي – الدار العصرية للطباعة والنشر والتوزيع – ط – ١٤٣١ هـ – ٢٠١٠م.
٤١. المستشرقون والإسلام – إبراهيم عبد المجيد اللبان – مجمع البحوث الإسلامية – القاهرة.
٤٢. المستشرقون ومشكلات الحضارة – عفاف صبرة – دار النهضة العربية.

٤٣. المستشرقون ونشر التراث – د: علي بن إبراهيم الحمد النملة – مكتبة التوبة – الرياض – ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م.

٤٤. المسيحية والإسلام والاستشراق – محمد فاروق الزين – دار الفكر المعاصر – دار الفكر – لبنان – سورية – ط٣ – ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م.

٤٥. مشكلات في طريق الحياة الإسلامية – محمد الغزالي – ١٤٠٢هـ.

٤٦. المعجم الوسيط – إبراهيم مصطفى – أحمد الزيات – حامد عبد القادر – محمد النجار – دار الدعوة – تحقيق: مجمع اللغة العربية.

٤٧. ملف إسرائيل دراسة للصهيونية السياسية – رجاء جارودي – دار الشروق ودار المعارف – ط٢ – ١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م.

٤٨. من قضايا الاستشراق – يحيى مراد – مجموعة بحوث ودراسات في الاستشراق – القاهرة .

٤٩. موسوعة اليهود والتوراة في سور القرآن – د: عبد المنعم الحفني – مكتبة متبولي – ٢٠١٣م.

٥٠. نقد دعوة عالمية النصرانية – د: فرج الله عبد الباري – الآفاق العربية – ط١ – ٢٠٠٤م.

فهرس المحتويات